٢٠٠٢
الروائع
مهرجان القراءة للجميع
مكتبة الأسرة

المختار من شعر

على الجارم

الهيئة المصرية العامة للكتاب

المختار من شعر

على الجارم

إعداد: د. محمد عنانى

علي سبيل التقديم :

نعم استطاعت مكتبة الأسرة باصداراتها عبر الأعوام الماضية أن تسد فراغا كان رهيباً فى المكتبة العربية وأن تزيد رقعة القراءة والقراء بل حظيت بالتفاف وتلهف جماهيرى على إصدارتها غير مسبوق على مستوى النشر فى العالم العربى أجمع بل أعادت إلى الشارع الثقافى أسماء رواد فى مجالات الإبداع والمعرفة كادت أن تنسى وأطلعت شباب مصر على إبداعات عصر التنوير وما تلاه من روائع الإبداع والفكر والمعرفة الإنسانية المصرية والعربية على وجه الخصوص ها هى تواصل إصداراتها للعام التاسع على التوالى فى مختلف فروع المعرفة الإنسانية بالنشر الموسوعى بعد أن حققت فى العامين الماضيين إقبالاً جماهيرياً رائعاً على الموسوعات التى أصدرتها. وتواصل إصدارها هذا العام إلى جانب الإصدارات الإبداعية والفكرية والدينية وغيرها من السلاسل المعروفة وحتى إبداعات شباب الأقاليم وجدت لها مكاناً هذا العام فى «مكتبة الأسرة» .. سوف يذكر شباب هذا الجيل هذا الفضل لصاحبته وراعيته السيدة العظيمة/ سوزان مبارك..

د. سمير سرحان

مهرجان القراءة للجميع ٢٠٠٢

مكتبة الأسرة

برعاية السيدة سوزان مبارك

(الروائع)

المختار من شعر
على الجارم
الغلاف
والإشراف الفنى:
الفنان : محمود الهندى
الإخراج الفنى والتنفيذ:
صبرى عبدالواحد
المشرف العام :
د. سمير سرحـــان

الجهات المشاركة :

جمعية الرعاية المتكاملة المركزية
وزارة الثقـافـة
وزارة الإعـلام
وزارة التربية والتعليم
وزارة الإدارة المحلية
وزارة الشـباب
التنفيذ : هيئة الكتاب

تصدير

عرف جيلنا شعر على الجارم في المدرسة ، من القطع الصغيرة التى كانت كتب "النصوص" الأدبية تحفل بهـا ، ولا تفرق بين المذاهب (أو المدارس) الأدبيـة التى تنتمى إليهـا ، وكنت أنا أسمع الكثـير عنه ، في نطاق الأسرة بصفـة أساسية إذ تربطه بى صلة عـائلية ، وإن لم يقدر لى إلا أراه مرة واحدة ، في منزل خالتى وزوجها الأستاذ أحمد عجمية بمدينة رشيد ، فنشأت محبًا لشـعره ، وكانت إحدى قصائدى الأولى التى كنت أروض الشعر فيها تفخر برشيـد وبشاعرها الكبير (وقد نشرتها في الجزء الأول من سـيرتـى الذاتيـة واحات العمر -١٩٩٨) كـما كنت أحـفظ قصيدته الـتى تغنت بها أم كلثوم ، والتى لحنها أحمد صـبرى النجريدى ومطلعها.

ما لى فتنت بلحظك الفتاك وسلوت كل مليحـــة إلاك

ولكن دراسة الأدب بالمنهج الحديث ، الذي بدأه طه حسين وأرسى أصوله لويس عـوض (تلميـذه) ومحمـد مندور فيـما بعـد ، لم تكن قد رسخـت ، فنشأت مـثل الكثيـرين من أبناء جيلى ونحن نطرب لأنـغام العربية الجزلة ، دائرين فى فلك القدماء ، وعندما قضى الله أن أتخصص

في الأدب الغربي ، وفي الشعر الإنجليزي تحديداً ، وتزامن ذلك مع نشأة الشعر العربي الجديد على أيدي صلاح عبد الصبور وأحمد عبد المعطي حجازي في مصر ، وغيرهما في بلدان عربية أخرى ، توارى شعر على الجام مع ما توارى من أشعار السلف ، وساعد على ذلك كتاب العقاد شعراء مصر وبيئاتهم في الجيل الماضي الذي درسته في منتصف الخمسينيات ، فابتعد شعر الجارم مع ما ابتعد من شعر القدماء عن حياتي وحياة جيلنا الأدبية .

ولكن "الفن لا يتقدم" - كما يقول هازلت ، بل تختلف مذاهبه وحسب من عصر إلى عصر ، وقد يقصر العصر فيصبح جيلاً ، وقد يطول فيكون جيلين أو ثلاثة أجيال ، وأقرب النظريات التي تفسر ذلك نظرية ت. أ. هيوم ، وهي نظرية 'الدورات الأدبية' ، التي تقول بأن المذهب الأدبي التي يصل إلى حد "الإشباع" يؤدي إلى التمرد عليه ، وقد يستفحل التمرد فيصبح ثورة ، وهي ثورة قد تأتي بمذهب أدبي مناقض للمذهب الأول ، فإذا وصل إلى حد "الإشباع" - أي حد استنفاد كل طاقاته الفنية من وجهة نظر المبدع والمتلقي جميعًا ، بدأ تمرد جديد ، وقد يفضي ذلك إلى ثورة جديدة ، وقد تعود تلك الثورة إلى ما تمرد عليه المتمردون ، فيكتمل قوس من أقواس الدائرة ، وهكذا دواليك .

ولكن العودة إلى النهج الفنى الأول عادة ما يصحبها تعديل له في ظل ما طرأ من تجديد في الثورة ، فالرومانسية التى تثور على الكلاسيكية لا تعود بصورتها الأولى ولكنها تعود بصورة معدلة ، إذ تجمع فى عودتها بين عناصرها الأولى وعناصر جديدة تبرر قولنا إنها رومانسية جديدة ، وكذلك الحال حين تعود الكلاسيكية ، فهى تعود مصبوغة بصبغة ما طرأ من تجديدات ، فتصبح كلاسيكية جديدة ، وهلم جرا ، هذا ما نشهده في مطلع القرن الحادى والعشرين ، فالناظر إلى شعر اليوم فى الغرب يلمح فيه عودة إلى "الشعر الحر" الذى بدأ فى مطلع القرن العشرين باعتباره ثورة على رومانسية القرن التاسع عشر ، وهو أيضًا ثورة على شعر شعراء "الحركة" فى الشعر الإنجليزى الذى كان يمثل- بالتزامه بالوزن والقافية وبروح الواقعية والسخرية فيه - ثورة على ذلك "الشعر الحر" ، ومدارس الحداثة التى نشهدها اليوم ثورة على ثورة، مثلاً كانت الثورة الأخيرة ثورة على ما قبلها ، فهى ثورات يأخذ بعضها برقاب بعض ، كما أوضح ذلك معظم من كتبوا فى هذا الموضوع من نقاد الغرب ، وهم جيمس لونجنباك James Longenback صاحب كتاب "الشعر الحديث بعد الحداثة" (١٩٩٧) .

وأظن أن ذلك يصدق إلى حد كبير على الشعر العربى ، فبعض الشعراء الذين بدأوا يكتبون شعر التفعيلة ، يعودون اليوم إلى الشعر

الموزون المقفى ، مثل فاروق شوشة ، وفارق جويدة ، ومازلت أذكر الحفل الذى أقامه الشعراء إبتهاجًا بنجاة الرئيس مبارك من حادث اعتداء في منتصف التسعينيات ، فإذا بأحمد عبد المعطى حجازى لا يجد خيراً من قصيدة أحمد شوقى التى يعرب فيها عن فرح الأمة بنجاة سعد زغلول من حادث مماثل للتعبير عن فرحة أمتنا بعد نحو سبعين عامًا ، ومازلت أذكر صوته القوى المجلجل وهو ينشد :

نجا وتمائل ربانـــــــها ودق البشائر ركبانـــــها

وفى الأرض شر مقاديـره لطيف السماء ورحمانها !

وتأكد لى ذلك بعد النجاح المذهل الذى حققته مبيعات الشعراء العرب فى مكتبة الأسرة فى السنوات الأخيرة من القرن العشرين ، وأما ما يسمى بالشعر المنثور الذى يكتبه بعض الشباب فهو لا يزال هامشًا على ديوان الشعر العربى ، بل على ديوان الشعر بصفة عامة ، فالكلمات المنثورة تظل نثراً ، مهما زُعم من شاعريتها ، والنثر فيه جميل ، ولن يضير أصحابه أن يقال إنهم يكتبون نثراً يشبه الشعر المترجم نثراً ، دون أن يصل إلى جمال الشعر وفق ما اصطلحت عليه البشرية منذ آلاف السنين ، مثلما لا يضير الناظمين الذين حذقوا فن النظم دون أن يتحلوا بموهبة الشعر ، أن يقال أنهم نظامون لا يرقون إلى مستوى الشعر

الصادق ، وهو ما يتجلى لنا عند مقارنة مـا ينشر فى الصحف اليومية من "منظومات" بما نعرفه ونحفظه من شعر .

ولذلك فنحن دائمًا مـا نواجه قضـية "المصطلح الأدبى" عنـد كل منعطف وكل ثنية ، أى نجد أن علينا أن نعيـد تعريف مصطلحاتنا عندما تتغير طبـيعة إنتاجنا الأدبى ، فوصف شوقى بالكلاسـيكية وصف قاصر لأنه وصف شكلى ، والواقع أن لديه نزعـة رومانسـية تتجلى فـى إيمانه بالمطلقات وبالزمن وبالحـرية ، وهو ما يتسم به العقاد نفسـه ، على ما بينهما من تفـاوت فى النظرة الفلسفية والمفـاهيم الأدبية . وهكذا الشأن مع على الجارم ، فـهو ينتمي "نوعيًا" (أو شكليًا) إلى الشـعر السلفى ، ولكن ارتباطه بالواقع وولعه بنسيج الحياة من حوله فى عالم متغير يجعله معـ[illegible] إن لم يكن حـديثًا وفق المـصطلح الأوروبى ، ويكفى أن تنظر إلى قصيدة فلسطين التى تتصدر هذه المختارات حتى تدرك معنى ما آرمى إليه، وهو رومانسى أيضًا فـى حنينه إلى الشـباب وبكائه على الماضى ، واستلهام الزمـن ، ولـكـنه يصـوغ ذلك كله فـى قـالـب يسـهـل وصفه بالكلاسيكيـة ، وربما كان ذلك هو ما حدا بالعقـاد - فى المقدمة التى يقدم بها هذه المختارات - إلى وضعـه فى باب مستقل ، يفضل فيه بين شعراء الإحياء ومن تلاهـم من غير أبناء مدرسة 'أبوللو' الرومانسية الصريحة .

ويخيل إلىّ أن احتجاب شعر على الجارم يرجع إلى أسباب أخرى 'غير شعرية' وهو اشتهار كتابيه النحو الواضح و البلاغة الواضحة وعمله فى مجمع اللغة العربية ، فلقد طغت صفة 'المُعلّم' وكبير مفتشى اللغة العربية على صفة الشاعر ، مثلما حدث للشاعر الإنجليزى ماثيو آرنولد في حياته ، فالناس لا تزال أسرى صورة الشاعر القديمة ، الشاعر الذى يعيش للشعر وبالشعر وحده ، ولكم جارت تلك الصورة على شعر الكثيرين من المجيدين ، فى عصر لا يسمح للشاعر أن "يتفرغ" لكتابة الشعر فى ظل من يرعاه من ولاة الأمور ، على نحو ما نشهد فى تاريخ الشعر العربى ، بل يندر أن يذكر التاريخ الأدبى أن الجارم كتب ثمانى روايات فى أواخر أيامه ، وهى من القصص التاريخى الذى جرى فيه على سنة جورجى زيدان (وللشاعر قصيدة يمتدح زيدان فيها) فى حين يذكر الجميع جهوده فى النشر والضبط والتحقيق للعديد من كتب التراث ! هذا هو 'قَدَرُ' كل عامل فى حقل الثقافة والتعليم في مجتمعنا الحديث ، وهو قدر لا فكاك منه ، ولكن الشاعر يظل شاعراً ، ويظل شعره حيًا ما دام فى الناس من يحبّ الشعر ويطرب له ، بل ما دامت فى الناس عقول وقلوب تفكر وتشعر .

والحقائق الأساسية عن على الجارم هى أنه ولد فى مدينة رشيد عام ١٨٨٢ ، ونال دراسته الأولية وحفظ القرآن فى رشيد ثم انتقل إلى الأزهر

لينهل من علومه العـديدة ، ثم التحق بدار العلوم حتى تخـرج وأوفد فى بعـثة إلى إنجلتـرا عام ١٩٠٨ ومكث أربع سنوات ، وعنـدما عاد عـمل أستاذًا فى دار العلـوم ثم مفتشًا للغة العـربية بوزارة المعارف ، ثم كـبيرًا لمفتشى اللغة العـربية وعضوًا بمجمع اللغة العربيـة عند إنشائه ثم عميدًا لدار العلوم حتى عام ١٩٤٢ ، وتوفى ٨ فبراير ١٩٤٩ .

د. محمد عنانى

تقـــديم

للأستاذ الكبير عباس محمود العقاد

كان « على الجارم » زينة المجالس كما كان يقال فى وصف الظرفاء من أدباء الحضارتين العباسية والأندلسية .

تجلس إليه فتسمع ما شئت من نادرة أدبية أو ملحة اجتماعية أو شاهد من شواهد اللغة أو نكتة من نكت الفكاهة ، ولا تدرى كلما تهيأ للكلام: ماذا أنت سامع بعد هنيهة ... فقد تترقب النكتة فتسمع الفائدة، وقد تسأل عن الشاهد فتسمع «القافية» التى لا تعذر كما يقول أبناء البلد كلما عرضت المناسبة «لقفشة» من القفشات لا تهمل فى سياقها ، ولكنك واثق فى النهاية أنك خرجت بفصل ممتع من طراز فصول العقد أو الكامل أو نفح الطيب ، وأنك لو اخترت الحديث واقترحته لما ظفرّت بخير مما استوفيته عفو الخاطر بغير سؤال .

كنا فى جلسة بعض اللجان بمجمع اللغة فقلت له جوابًا على تحية من تحياته : أجز يا أستاذ :

علىٌّ « بيكٌ » الجارمْ أديبٌ ، شاعرٌ ، عالمْ

فما تردد أن قال على عادته من سرعة البديهة إنها إجازة لا تجوز «لعلىٌّ بيكٌ» ... قلت : ولكنها تجب علينا إذا أعجبتك القافية !

والبيت توحيه الفكاهة كما هو ظاهر ، ولكنه صميم الجد إذا أردنا أن نجعل الرأى فى مقام النقد والتقدير للزميل الفقيد ، فهو أديب وافر المحصول من زاد الأدب أو زاد الرواية الأدبية من قديمها إلى حديثها ومن مبتكرها إلى منقولها ، وهو عالم باللغة ، وعالم من اللغة بفنون التربية وفروعها ، وهو الشاعر الذى زوّده الأدب والعلم بأسباب الإجادة والصحة، فكان شعره زادًا لطالب البيان فى عصره ومثالاً صالحًا للثقافة التى أسهم فيها بأدبه وعلمه .

وقد تعوّد نقادنا عند الكلام على جيل الجارم والجيل الذى تقدمه أن يقرنوا كل شاعر حديث بشاعر مجيد ممن تقدموه ولاح للناقد أنه قدوة للناشئين من بعده ، ولكننا لا نحسب أننا نقيّم الجارم فى مقامه إذا قلنا إنه شبيه بالبارودى أو بصبرى أو بشوقى أو بحافظ أو بشعراء هذه الطبقة السابقين لجيله . فإن للجارم مدرسة خاصة من مدارس الشعر الحديث تقوم على قواعد غير تلك القواعد كلها عند إجمالها أو إفرادها وتخصيصها باسم كل شاعر معدود فى أولئك الشعراء .

إن الجارم ركن من أركان مدرسة شعرية تستحق الآن أن تعرف بملامحها وأن تستقل بعنوانها . فلا تلتبس بمدرسة أخرى تنسب إلى علم من أعلام الشعر المخضرمين بين القرن التاسع عشر والقرن العشرين.

إنها مدرسة يجوز لنا أن نسميها بمدرسة «دار العلوم» ونعجب لأنها لم تتميّز بهذه الميزة الواضحة وهى أدلّ عليها من كل جامعة أخرى تفرّقها ولا تقارب بين أوصالها .

فإذا سمّينا أركان هذه المدرسة الثلاثة ، وهم : حفنى ناصف ومحمد عبد المطلب وعلى الجارم بترتيب السن أو الجيل ، فمن اليسير جدًا أن نلمس وجوه الشبه بين كل منهم وصاحبيه وإن لم يكن شبهًا من أشباه القوالب المصنوعة يمنع الفوارق الخاصة أو يخفى دلائل الاستقلال بطابع الشخصية المستقلة .

ومنهم عبد المطلب - مثلاً - أقرب إلى البداوة التى نشأ بين أحضانها وحرص على ألوانها وسماتها ، ولكن من ذا الذى يعرض قصائده عرضًا ويستطيع أن يجد له زميلاً أقرب إليه من ناصف فى لباقته أو الجارم فى رقّته ؟ من ذا الذى يقارب بينه وبين حافظ أو محرم ولا يشعر بالغرابة بينهم ؟ ومن ذا الذى يقارب بينه وبين ناصف أو الجارم ولا يشعر بملامح «الأسرة» تقرنه بأخيه وإن اختلفا كاختلاف الغرباء فى بعض الشيات والأزياء .

نكاد نقول إن الشعر قد انقسم بعد نشأة أدباء دار العلوم إلى مدرستين : مدرسة «الأفندية» والمدرسة المعمّمة أو الدرعمية .

ونكاد نقول إن الأديب الدرعمى سيقول ولو بدّل زيه كما قال الجارم بين جده الباسم وفكاهته الصادقة :

لبســـت الآن قبّعـــة بعيـــداً عـن الأوطـان . معتاد الشجون

فإن هـــى غيـرّت شكلـى فإنـــى « متى أضع العمامة تعـرفونى »

وهل هى مـلامح «زى» بين العمـامة أو الطربوش أو القـبّعة ؟ وهل هى ملامح «عنوان» بين الأزهرية والجامعية والدرعمية ؟

كلا ، بل هى ملامح «أسرة» فكريـة نفسية خلقتها «طبـيعة الدراسة» التى انفردت بها «دار العلوم» ولم تشـبهها دراسة من قبـيلها فى لغتنا ولا فى لغة أخرى من لغات الثقافة المعروفة لدينا .

فالدرعمـى «لغوى عربى سلفى عصـرى» ولكن على منهج فريد فى بابه بين مناهج المـعـاهد السلفـية والمـدارس الإفرنجيـة . وبين مناهج المحافظة والتجديد ، ومناهج الابتداع والتقليد .

ولا يسعك وأنت تقرأ قصيدة الشاعر من أركان المدرسة الدرعمية أن تحجب فكرة «اللغة» عن خاطرك وأن تنكر أن قائل هذا الشعر يثبت على القديم وإن أخذ بنصيبه من الجديد وحـرص على انتـسابه إليه حرصه على انتسابه إلى التراث القديم .

إن قافـية «معتـاد الشجون» فى بيت الجارم قـد تكون من ضرورات القوافى التى يقبلها الشعراء غير مختارين . ولكن لا يسعك وأنت تتوقف لديها أن تنسى أن لابس القـبعة الذى قالهـا قد وضعهـا فى دار الغربة ؟ وأن الشجون ترد هنا على الباب ولا ترد كلمة أخرى بديلاً منها ؟

وفى قراءة «الدرعمى» هى التى جذبت هذه الكلمة من محفوظات الأدب العربى ليقولها غريب نعته شجون وتذكره بها القبّعة وذكرى العمامة ؟

واقرأ هنا وهناك ما شئت من قصائد الصفحات التالية فإنك ترى التشطير وبيت التخلص ومحسنات الأشباه والنظائر ولكنك لا تلبث أن ترى القبّعة الى جانب العمامة . وأن ترى «الشجون المعتادة» بين الوطن الثقافى الأصيل والوطن الثقافى المستحدث ، وهما حيث كانا يتلاقيان «وبينهما برزخ لا يبغيان» .

على أن انطباع المستقل من «الشخصية الجارمية» يبدو على كل لمحة «درعمية» تصادفها بمعانيها أو ألفاظها فى قصائد هذا الديوان .

إننا نرى «عليًا» برقته ودعابته حين نسمع حنينه إلى الشباب فى قوله:

هات عهد الشباب إن غاض فى الما
ء ، وإن غاب فى السماء فهاته
ما أرانى من غيره غير ثوب
ضم أردانه على علاته
ربّ شيخ فى عالم الطب حى
ويراه الزمان من أمواته

و « عليّ » برقّته ودعابته هو الذى يقول فى الشيخ المتصابى :

لنا شـــيخ تولّى أطيـــبـــاه
يهـــيم نجب ربات القـــدود
يغـــازل إذ يغـــازل مـن قـــيـــام
وإن صـلى يـصلى من قـــعـــود

والظريف الحكيم هو الذى يقول فى خطابه للمكروب :

لست كـالواو ، أنت كـالمنجل الحصّا
د ، إن أحـــنوا لك التـــمـــثـــيـــلا
مـــا غلبت النفـــوس بالعـــزم لـكنْ
هكـذا يغلب الكثـــيـــر القليـــلا
ربّ طفـل تركـت من غـــيـــر ثدى
يضـــرب الأرض ضـــجّة وعـــويلا
وفـــتـــاة طرقـــتـــهـــا لـيلة العـــر
س ، وقـــبل الـحليل كـنت الحليـــلا
كـــحلّو اجـفـنهـا فكحّلت فـيـهـا
كل جـــفـن أسى وسُهـــدًا طـويلا

وهو الذى يحيى الإذاعة فيقول :

ونبّهت وسنانَ جـــفـن الصـــبـــا
ح ، بـــآى من الـكـلـم الـمـنـزل

وغنّيتِ حتى تعزّى الحز
ين وقرّ الشجيّ وهام الخلى
وكم قد هزلت لتشقَى النفو
س فكان من الجد أن تهزلى

وهو القائل مفتخرًا بالعرب :

صعدوا للعلا بريش نسور
ومضوْا للردى بعزم أسود
أينما ركّزوا الرماح ترى العد
ل مقيمًا فى ظله الممدود
وترى العلم يلتقى بهدى الد
ين على منهج سوى سديد
فسحوا صدورهم لحكمة يونا
ن وآداب فارس والهنود
تلك آثارهم شهودًا على المجـ
ـد ، وما هم بحاجة لشهود

وهو القائل مخاطبًا العربية :

أنت علمتنى البيان فمالى
كلّما لحت حار فيك بيانى

لغـــة الفـــن أنت والـــســـحـــر والشـــعـــر

ونـــور الحـــــجـــــا روحى الـــجنـــان

نعم . ويعـود المـقام - إن لم نعـد نحن إليـه - لنقـول «الأديب الشاعر العالم» يستوى على منبر، حـين يزجى التحية إلى اللغة العربيه ، وإنها لتحييه بأحسن منها كلمـا ذكرت له مأثرته ومآثر أصحابه فى إحياء بيانها وإطلاق لـسانها وبقائها على الأزمان نوراً للحجى روحيًا للجنان .

عباس محمود العقاد

المختارات

١ - فلسطين

نظم الشاعر هذه القصيدة عندما توالت انتصارات الجيش المصرى فى فلسطين عام ١٩٤٨ م إلى أن وصل إلى مشارف «تل أبيب» فتدخلت أمريكا وفرضت الهدنة على الجانبين من أجل صالح إسرائيل لتجنبها عار هزيمة محققة :

تَأَلَّقَ النصرُ قد هتزت عَوَالينا
واستقبلتْ مَوْكِبَ البُشْرَى قَوَافينَا[1]

منى لنَا السَّيْفُ فى الأعناقِ أغْنيةً
عَزَّتْ على الأيكِ إيقاعًا وتلْحِينَا[2]

هَزَّتْهُ نَخْوةٌ من الفُولاذِ قَبْضتُهَا
فى الهَوْلِ ما عَرَفَتْ رِفْقًا ولا لِينَا

من صَخْرِ «خُوفُو» نهاها دُونَ الْوَرَى عَضَلٌ
جرى به دَمُ عَدْنانٍ شَرايينا[3]

---

(١) تألق : ازدهر . عوالينا : أعالينا

(٢) الأيك : الشجر الملتف والمقصود الحدائق .

(٣) «خوفو» ملك من ملوك مصر القديمة وبانى الهرم الأكبر ، لهادون الورى : انفردت عن الخلق ، عدنان : جد العرب .

نفسي فِدَى النَّارِسِ المصرِيّ إن خَطَرتْ

به المواكبُ أو خَاضَ المياديناَ

تلقَاهُ في السِّلْمِ ماءً رفَّ سلسَلُهُ

وفي الحُروبِ إذا ما ثَارَ أتُّونَا[1]

يرى الدِّماءَ عقيقًا سَالَ جَامِدُهُ

ويحسَبُ النقْعَ فيها مسْكَ دارينا[2]

ما بَيْنَ «عمرو» و «مينا» زانَهُ نَسَبٌ

فمن كآبائِهِ شُرْبًا نَراعِينَا ؟[3]

سَلْ مِصْرَ عنهم سَلِ التاريخَ إنَّ به

سِرًّا من المجدِ لا يَنْفَكُّ مكْنُونَا[4]

---

(١) سلسله : عذوبته وصفاؤه . أتون : الأخدود من النار .

(٢) عقيقا : نوع من الأحجار الكريمة حمراء اللون . النقع : الغبار . مسك دارينا : طيب من منطقة بالبحرين ينسب إليها المسك .

(٣) عمرو : هو عمرو بن العاص داهية العرب وفاتح مصر فى عهد عمر بن الخطاب ٪ . مينا : ملك من ملوك مصر الفرعونية وهو أول ومن وحّد الوجهين البحرى والقبلى لمصر .

(٤) لا ينفك : لا يحل ولا يتفكك . مكنونا : مخزونا .

سُيُوفُهم كُنَّ لِلطُّغْيَانِ مَا حِقَةً
وعِدْلُهُمْ كَانَ لِلدُّنيَا مَوَازِينَا
وجَيْشُهُمْ هزَّتِ الدُّنيَا كَتَائِبُهُ
وحكمُهُمْ مَلأَ الآفَاقَ تَمْدِينَا
إنَّا بَنَى الأَسْدِ أُمْضَى مِخْلَبًا ويَدًا
لَدَى الصِّرَاعِ وأَحْمَى النَّاسِ عِرْنِينَا[1]
إذَا دَعَا الحقُّ نُبَّتُهُ جَحَافِلَنَا
وإن سَطَا الجَوْرُ رَدَّتْهُ مَوَاضِينَا
عِشْنَا أَعِزَّةَ مِلءَ الأَرضِ مَا نَمَتْ
جِبَاهُنَا تُرْبَهَا إلاَّ مُصَلِّينَا
لا يَنْزِلُ النَّصرُ إلاَّ فَوْقَ رَايَتِنَا
ولا تَمَسُّ الظُّبَا إلاَّ نَوَاصِينَا[2]

*

(١) عرنينا : أنفا وكبرياء .
(٢) الظبا : الظباء ، نواصينا : جهاتنا وأرضنا .

أَلَيْسَ من أحْجِيَاتِ الدَّهْرِ قُبَّرةٌ
رَعْنَاءُ تَزْحَمُ في الوَكْرِ الشَواهِينَا[1]

وتائهٌ ما لَهُ دَارٌ ولاَ وطنٌ
يَسْطُو على دارِنا قَسْرًا ويُقْصِينَا[2]

فيا جبالُ اقذِفِي الأحجارَ من حُمَمٍ
ويا سَمَاءُ امْطِرِي مُهْلاً وغِسْلِينَا[3]

ويا كواكبُ آنَ الرَّجْمُ فانطلقِي
ما أنتِ ، إنْ أنتِ لم تَرْمِ الشياطينا ؟[4]

ويا بحارُ اجْعَلِي الماءَ الأُجَاجَ دَمًا
إذا عَلَتْ رَايةٌ يَوْمًا لصهيونَا[5]

---

(١) قُبَّرة : نوع من الطيور صغير . رعناء : حمقاء . الوكر : العش . الشواهينا : نوع من الطيور الجارحة وهي الصقور المدربة على الصيد .

(٢) تائه : ضال وليس له وطن إشارة إلى اليهودى التائه .

(٣) حُمم : نار ملتهبة . مهلا : نحاسًا مذابًا . غسلينا : ما اغتسلى من لحوم أهل النار ودمائهم .

(٤) الرجم : القتل وأصله الرمى بالحجارة .

(٥) الأجاج : المالح . صهيون : أتباع صهيون من اليهود الذين أقاموا إسرائيل .

العَهْـدُ عِنْدهُـمُ خُلْفٌ ومـجـحـدَةٌ

فـمـا رأيـنـاهُمُ إلاّ مُرَائِيـنَا[1]

مـا ذَلِكَ السـمُّ فى الآبـارِ ؟ ويْلكُمُ !

وَمَنْ نُحـارِبُ ؟ جُنْدًا أم ثَعـابِـيـنَا[2]

مَرْحَى بدولتـهِمْ ! مـاتـت لمـولـدِها

فـكانَ مـيـلادُها حُزْنًا وتـأبِـيـنَا

جـاءوا مُهَنِّـيـنَ أرْسـالاً على عَجَلٍ

فـحـيـنَمـا نطَقُوا كـانُوا مُعـزِّيـنا

وآضَ تَصـفِـيـقُهُمْ نَوْحًا ومـندَبَـةً

وأصـبحَ البِشْرُ تـقطِيـبًا وتَغْضِينَا[3]

رِوايةٌ مـا أقـامُوا سَبْكَ حَبْكَتِهـا

ولا أجَادُوا لـهـا لَفْظًا وتلـقِـيـنَا[4]

---

(١) خلف : كذب . مجحدة : نكران . مرائينا : منافقين .

(٢) كان اليهود يضعون السم فى آبار العرب فى أوائل حربهم فى الأربعينات .

(٣) آض : رجع وأصبح .

(٤) سبك حبكتها : إعدادها .

قد حيَّرتنا ، مأساةٌ ؟ مهزلةٌ ؟

فالسُّخْفُ يُضْحِكُنا والجهلُ يُبكينا

أهْلاً بها دولةً ضاقَ الفضاءُ بها

فَتْحًا وغَزْوًا وإعْزازًا وتمكينا

لها قوانينُ من عَدْلٍ ومَرْحَمَةٍ

قد نَفَّذُوا بعْضَها فى «دَيْرِياسينا»(١)

أسْطُولُها يملأُ البحرَ المحيطَ دَمًا

وجيشُها يملأُ الآطامَ تَحصينا(٢)

*

نفسى فِداءُ فلسطينٍ وما لَقِيتْ

وهل يناجى لهوى إلاّ فِلسْطينا ؟

نفسى فِداءُ لأُولَى القبلتين غدتْ

نَهْبًا يُزاحِمُ فيه الذئبُ تِنِّينا(٣)

---

(١) دير ياسين : قرية فى فلسطين قام اليهود بذبح نسائها وشيوخها وأطفالها عندما احتلوها فى حربهم الأولى ضد العرب .

(٢) الآطام : البيوت المغلقة .

(٣) أولى القبلتين : بيت المقدس وبها المسجد الأقصى .

قلبُ العروبةِ إن تطعنْهُ زِعنفَةٌ
كُنَّا لها ولأشقاها طواعينا[1]

وقلعةُ الشرقِ إن مُسَّتْ جوانبُها
خُضْنا لها جُثَثَ القتلى مجانينا

وأسطرٌ من توارِيخٍ مُخَلَّدةٍ
كانت لمجدِ بَنِي الفُصْحى عناوينا

نقبلُوا . تُرْبَ «حطّينٍ» فإنَّ بهِ
دَمَ البُطُولةِ مِنْ أيام «حطينا»[2]

أرْضٌ بذَلْنا بَهَا الأرواحَ غاليةً
داعين لله فيها أو مُلَبِّينا

ومسجدٌ نزلَ المختارُ ساحتَهُ
نمُوتُ نبه ونحيَا مُسْتميتينا[3]

---

(١) زعنفة : جماعة ليس أصلهم واحد . لأشقاها : الشديد العسر . طواعينا : محاربين ومصيبين لهم .

(٢) حطين : اسم بلد فى الشام اشتهرت بالمعركة التى انتصر فيها القائد صلاح الدين الأيوبى على الصليبيين .

(٣) مسجد : المسجد الأقصى . المختار : سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام .

أنرتَضِى أنْ نَرى مِيـــــــــراثَنا بَدَدًا

ونكتـــفى بدمـــوعٍ فى مـــآقِينَا ؟!

مـــا قـــيـمـــةُ النَّفسِ إن هـانَتْ لطائفـــةٍ

الله صَوَّرَ فـــيـــهـــا الـذُّلَّ والهُونَا ؟[1]

ومـــا نقـــولُ لأبطـالٍ لنا سَلَفـــوا

إذا تَهـــدَّم مـــا كـــانُوا يَشـــيـــدونَا ؟

ومـــا نقـــولُ لعـــمـــروٍ حـــينَ يســـأَلُنا

إن لم نُجِبْ قـــبلَهُ بالســـيفِ غَازِينَا ؟[2]

أتلكَ أنَدلُسٌ أُخرى ؟ فـــقـــد نـبـــشَتْ

من حـقـدِ ساداتِهـمْ مـا كـان مـدفُونَا[3]

سُحْقًا لسـكِّينِ «فـــرديـنـانـد» كـم ذبَحتْ

واليـومَ تشـــحَذُ أمـريكا السـكـاكـيـنَا !![4]

---

(١) الهونا : الهوان .

(٢) عمرو : عمرو بن العاص القائد العربى الشهير .

(٣) يشير إلى مأساه انهيار حكم العرب فى الأندلس .

(٤) فـرديناند : قائد من قـواد الفـرنجة استطاع بالخديـعة والدهاء أن يطرد العـرب من الأندلس خاصة بعد ضعفهم وانقسامهم .

قـد شـــرَّدُوا العُرْبَ واســتـاقُوا حـرائرَهُمْ .

فـــأينَ فتيـــانُنا ؟ أينَ المـــحـــامُونا ؟[1]

من كُلِّ عَادٍ لـه فى الشـــرِّ فلســـفـــةٌ

أســـــرارُهَا عنـد مُوشَى وابن غُرْيـونا[2]

لا يَعْرِفُ الـرُّزْءَ فـى أهـــلٍ ولا ولـدٍ

ولا يرى غـيـرَ جـمعِ المـالِ قـانونَا[3]

الألفُ تـصـــبِحُ فى كـــفَّيـــهِ بـين ربًا

وبيـنَ مـــا لستُ أدريهِ مـــــلايـينَا

إن كـان يحـمـيـهُم المـالُ الذى جـمـعُوا

فـــإنَّ خـــالقَ هذا المـــال يَحـمـــيـنَا

قـالوا : أسُودٌ . فقُلْنَا : فـى الجحـورِ نَعَمْ

فـــإن خـــرجـــتُمْ يَعُدْ كُوهينُ كُوهـينَا

---

(١) استاقوا : أسروا واستعبدوا . حرائرهم : نساؤهم الأحرار .

(٢) عاد : متجن ظالم . موشى وابن غـريونا : هو موشى شرتوك وبن غريون من أوائل وزراء دولة إسرائيل .

(٣) الرزء : المصيبة .

بنى العُرُوبة هذا اليومُ يومُكُمُ

سيرُوا إلى الموتِ إنّ الموتَ يُحيينَا

وخلفُوا للعُلا والمجدِ خالدةً

تبقى حديثَ اللَّيالِى فى ذَرَارينا[1]

لقد صَدَئْنا ودُون الغمدِ منفسَحٌ

فجرِّدُوا حَدَّ مَاضينا لآتينَا

وقَرِّبُوهُمْ قرابينًا مُحَوَّرةً

للسيفِ إن يَرْضَ هاتيكَ القرابينَا[2]

ماذا إذا مَا فَقَدنا إرْثَ أُمَّتِنَا

وما الذى بعدَهُ يبقى بأيْدِينَا

ذُودُوا كما يدفَعُ الضِّرغَامُ فى غضبٍ

عن العرينِ أُبَاةً شَمَّريينَا[3]

---

(١) ذرارينا : ذريتنا أى أبناؤنا .

(٢) قربوهم : قدموهم . قرابينا : ما يتقرب به إلى الرفعة والمجد . محورة : ملونة بلون الدم .

(٣) الضرغام : الأسد . شمرينا : مختالينا .

لا ترهبُوا القومَ فى مالٍ وفى عددٍ
إن الفقاقيعَ تطفُو ثم يَمْضينَا

*

إن لم تصَوِّنُوا فَلسْطِينًا وجبهتها
ضاعت عُرُوبتُنا وانفضَّ نَادينَا

فإنَّ للشرقِ أعْدَاءً ذوِى إحَنٍ
اللهُ يكفيهِ نجواهُمْ ويكفينَا![1]

لهُمْ سِهامٌ خفياتٌ مسمَّمةٌ
من السياسة تَرْميهِ وتَرْمينَا

كم نمقوا صُوَرًا شتَّى وكَمْ خلَقُوا
للغدْرِ والفتكِ أشكالاً أفَانينَا

*

يا جَيْش مِصْرَ ولا آلوكَ تهنئةً
حققْتَ ظَنَّ الليالى والمُنَى فينَا[2]

---

(١) احن : حقد .

(٢) آلوك : ارسل إليك رسالة .

وصَلْتَ آخرَ عُلْيـــــــــانا بـأوَّلِهَا

فـــــمـــــا أواخِرُنَا إلاَّ أوالِـيـنَا

أعَدْتَهـــا وثـبـــةً بـدريَّةً صـــرعَتْ

دُهَاةَ جـيـشِ يـهـــوذا والدَّهـاقـــيـنَا[1]

شـجـاعَةٌ مـزَّقتْ أحـلامَ سـاسـتِهِمْ

وعلَّمتْ مُتـرفِيـهـم كـيـفَ يصْحُونَا

تســـيـــرُ مـن ظَفَرٍ حُلْوٍ إلى ظفـــرٍ

مُبَارَكَ الفـــتحِ والـرّاياتِ مـيـــمُونَا

فـــيكَ الـمـــلائكُ أجْنَادٌ مُسـوَّمَةٌ

أعْلامُهـــا تتـــهـــادَى حَوْلَ جِبْرِينَا[2]

وفـــيـكَ من مُهـــجَاتِ الـنيلِ ناشِئَةٌ

فِيـهـــا مَطَامِحُنا ، فـــيـهـــا أمَانِينَا

يمـشـون للـمـوتِ فى شـوقٍ وفى جَذَلٍ

لأنَّهُمْ فـى ظِلال اللهِ يـمـــــشُونَا

---

(١) بدرية : نسبة إلى غزوة بدر التى انتصر فيها المسلمون على الكفار . جيش يهوذا : جيش اليهود والصهاينة . الدهاقينا : الزعماء فى الدين .

(٢) جبرينا : سيدنا جبريل .

إن شَكَّ فى عَزمـــةِ المـــصـــرِىّ مُحْتَمِلٌ

فـــبـــيْن فِتْيـــانِنا يلْقـى البـــرَاهـينَا

لا يســـــــتطيعُ خَيَالٌ وصْفَ جُرْأتِهـمْ

ويعـــجـــزُ الشـــعـــبرُ تـصـــويراً وتَلْوينَا

هُمُ رياحـــينُ مـــصـــرٍ نَضْرَةً وشـــذًا

لا أذْبَلَ اللهُ هـاتيـكَ الـريـاحـــــــيـنَا

صـــانَ الإلَهُ لجـيـشِ الشـرقِ عـــزَّتَهُ

وصَانَ أبطـالَهُ الغُرَّ المـيـــامـــيـنا[1]

(١) الميامينا : المباركين .

٢ - الحُبُّ والحَرْبُ

سنة ١٩١٦ م

مـــــــــا لـى فُتِنْتُ بـلـحْظِكِ الْفَتَّاكِ
وسَلَـوْتُ كُـلَّ مَلِيـــــــــحَةٍ إلاَّكِ
يُـسْرَاكِ قَدْ مَلَكَتْ زِمـــــــامَ صَبَابـتـى
ومَضَلَّتِـــى وهُـــدَايَ فـــى يُمْنَـــاكِ
فَإِذا وَصَلْـــتِ ، فَكُـــلُّ شَيْءٍ بـــاسِمٌ
وإِذا هَجَـــرْتِ ، فَكُـــلُّ شَـــيْءٍ بـاكِى
هـــذا دَمِى فـــى وَجْنَتَيْـــكِ عَرَفْتُهُ
لا تَسْتَطِيـــعُ جُحُـــودَهُ عَيْنَـــاكِ !
لـو لم أَخَفْ حَـرَّ الْهَـوَى ولَهِيـــــبَهُ
لَجَعَلْـتُ بَيْنَ جَوَانِحِـــى مَثْـــوَاكِ
إِنِّى أَغـــارُ مـنَ الْكُئُـــوسِ فَجِئْنِى
كَأْسَ الْمُدَامَـةِ أَنْ تُقَبِّـــلَ فـــاكِ

خَدَعَتْكِ مـــــا عَذُبَ الـــلُّافُ وإنَّمَا

قـــــد ذُقْتِ لَمَّا ذُقْتِ حُلْـوَ لمَـاكِ[1]

لَكِ مِـــنْ شَبَابِكِ أوْ دَلاَلِـــكِ نَشْـــوَةٌ

سَحَـــرَ الأنَـــامَ بِفِعْلِهَـــا عِطْفَـــاكِ[2]

*

قـــالَتْ خَلِيلَتُهـــا لَهـــا لِتُلِينَهـــا

مـــــــــاذا جَـنَ لَمَّا هَجَـرْتِ فَتَاكِ

هِيَ نَظْـــرَةٌ لاقَـــتْ بِعَيْنِـــكِ مِثْلَهَا

مـــا كـــانَ أغْنَـــاهُ ومـــا أغْنَاكِ !

قـــد كـــانَ أرْسَلَهَا لِصَيْـــدِكِ لاَهِـــيًا

فَقَـــرَرْتِ مِنْـــهُ وعـــادَ فـى الأشْـــرَاكِ

عَهْدِى بِهِ لَبِقَ الْحـــــــــديثِ فَمَا لَهُ

لا يَسْتَطِيعُ الْقَـــوْلَ حـــــينَ يَرَاكِ ؟

---

(١) فاعل خدع ضمير مستتر يعود على المداومة وما نافية . اللاف : الخمر . اللمى مثلثة اللام : سمرة مستحسنة فى باطن الشفة ، والمراد الشفة نفسها .

(٢) النشوة : السكر . سحر : استمال وجذب . الأنام : جميع الخلق . العطف : الجانب .

إيَّاكِ أنْ تَقْضِـــى عَلَيْـــهِ ، فَإنَّـــــهُ
عَـرَفَ الحـــيـــــــاةَ بحُبِّـــهِ إيَّاكِ

إنَّ الـــشَّبَابَ وَدِيـــعَةٌ مَـــــرْدُودَةٌ
والـزُّهْدُ فِـــــــــــهِ تَزَمُّتُ النُّسَّاكِ

فَتَشَمَّمِـــى وَرْدَ الْحـــيـــــاةِ ، فَإنَّـــهُ
يَمْضِـــى ، ولا يَبْقَـــى سِـــوَى الأشْـــوَاكِ

لـم تُنْصِتِى ، وَمَشَيْتِ غَـــيْرَ مُجِيـــبَةٍ
حَتَّى كـــــأنَّ حَدِيثَهَـــــا لِـــواكِ

وبَكَتْ عَلَىَّ ، فَـــمـــا رَحِمْتِ بُكاءَهَا
مـــا كـــانَ أعْطَفَهَا ، ومـــا أقْســـاكِ !

*

يـا أرْضُ وَيْحَكِ قَدْ رَوِيتِ فـــــأسْتَرِى
وكَفَاكِ مِنْ تِلْكَ الدِمـــاءِ كـــفـــاكِ ![1]

---

(١) ويح : كلمة رحمة . روى من الماء : يروى ريا . والسؤر : البقية والفضلة . أسأر : أبقى فى الإناء بعد شربه بقية .

فـــى كُلِّ رَبْـــعٍ مِنْ رُبُوعِـــكِ مَأْتَـــمٌ

وثَوَاكِـــلٌ ونَـــوادِبٌ وبَواكِـــــى[1]

قـــد قـــامَ أهْلُ العِلْمِ فـــيكِ ودَبَّرُوا

بَرِئَتْ يَـــدِى مِـــنْ إثْمِهِـــمْ ويَـــداكِ !

كـــــاشَفْتِهِمْ سِرَّ العَنَـاصِرِ فَانْبَـرَوْا

يَتَخَـــيَّرُونَ أمَضَّهـــــــا لِرَدَاكِ[2]

ـ ُوا كنـانَتَهُمْ ، وكُلُّ سِهـــامِهـــا

لِلْفَتْـــكِ والتَّدْمِيـــــرِ والإهْـــلاكِ[3]

دخَلُوا عَلَى الثُعْبُـــانِ فى أوْكـــارِها

وتَسَرَّبُوا لِمـــــــابِحِ الأســـمَاكِ ![4]

---

(١) الربع : المنزل ومحلة القوم . المأتم : المناحة . الثواكل : جمع ثاكل وهى المرأة التى فقدت ولدها . النوادب : جمع نادبة وهى المرأة التى تندب الميت أى تعدد محاسنه .

(٢) العناصر : الأصول ، والمراد بسرها خواصها وصفاتها . انبرى للشىء : تجرّد له .

(٣) الكنانة : جعبة من الجلد توضع فيها السهام . ونثر الكنانة إنما يكون لاختيار أصلب السهام وأعظمها تأثيراً . الفتك : البطش والقتل على غفلة . التدمير : الإهلاك .

(٤) العقبان : جمع عقاب وهو من جوارح الطير . الأوكار : جمع وكر وهو عش الطائر . السرب : الدخول فى السرب وهو الجحر أو البيت فى الأرض .

فَتَأَمَّلِي ، هَلْ فِي تُخُومِكِ مَأْمِنٌ ؟

أَمْ هَلْ هُنَالِكَ مَعْقِلٌ يُنْذِرُكِ؟[1]

ظَهْرُ اللُّيُوثِ وذاكَ أَصْعَبُ مَرْكَبِ

أَوْفَى وأَكْرَمُ مِنْ أَدِيمِ ثَرَاكِ[2]

لَيْتَ الْبِحَارَ طَغَتْ عَلَيْكِ وسُجِّرتْ

أو أَنَّ مَنْ يَطْوِي السَّمَاءَ طَوَاكِ ![3]

*

لم يَبْقَ فِي الإِنْسَانِ غَيْرُ ذَمَائِهِ

فَدَرَاكِ يَا رَبَّ السَّمَاءِ دَرَاكِ ![4]

---

(١) التخوم : معالم الأرض وحدودها مفردها تخم . المعقل : الملجأ . الذرا : جمع ذروة وهي من كل شيء أعلاه .

(٢) الليوث : جمع ليث وهو الأسد . الأديم : ظهر الأرض . الثرى : التراب الندىّ .

(٣) طغى البحر : هاجت أمواجه وارتفعت وزادت مياهه حتى جاوزت الحد ، وطغيان البحار على الأرض إغراقها . سجرت : زيد اضطرابها وغليانها . والشاعر يشير بالشطر الثانى من هذا البيت إلى الآية القرآنية الكريمة : ﴿ يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ ﴾ ١٠٤ - سورة الأنبياء .

(٤) الذماء : بقية النفس . دراك : أدرك .

وإذا النُّفُوسُ تَفَرَّقَتْ نَزَعَاتُهَا

قَامَتْ إذَا قَامَتْ بِغَيْرِ مَسَاكِ[1]

والسَّيْفُ أَظْلَمُ مَا فَزِعْتَ لِحُكْمِهِ

والْحَزْمُ خَيْرُ شَمَائِلِ الأَمْلاكِ[2]

ومِنَ الدِّمَاءِ طَهَارَةٌ وَعَدَالَةٌ

ومِنَ الدِّمَاءِ جِنَايَةُ السُّفَّاكِ[3]

الْعِلْمُ مِيزَانُ الْحَيَاةِ فَإِنْ هَوَى

هَوَتِ الْحَيَاةُ لأَسْفَلِ الأَدْرَاكِ

---

(١) النزعات : المذاهب والميول . المساك : الموضع يمسك الماء ويراد به هنا الحائل الذى يقف فى وجه الميول الشريرة والأطماع المبيدة .

(٢) فزع إليه : لجأ إليه عند الفزع وهو الخوف . الحزم : ضبط الأمر والأخذ فيه بالثقة ، وحزم فلان رأيه أتقنه . الشمائل : الأخلاق والطباع ، مفردها شمال . الأملاك : جمع مَلك .

(٣) السفاك : جمع سافك ، اسم فاعل من سفك الدم بمعنى أراقه .

٣ - مصر

صـــوَّرَ الله فـــيكِ مـــعنى الخُلُودِ
فـــابلُغى مـــا أردته ثمَّ زيدى
أنـــتِ يـــا مِصْرُ جَنَّةُ الله فـــى الأرْ
ض ، وعَيْنُ العُلا وَوَاوُ الوجـــــود
أنـــتِ أمُّ المَجْـــدَيْنِ بَيْنَ طَرِيـــفٍ
يتَحَدَّى الوَرَى وبَيْنَ تَلِيـــــــدِ
كم جـــديدٍ عليـــه نُبْلُ قـــديمٍ
وقـــديمٍ عليـــه حُسْنُ جـــديدِ
قـــد رآكِ الدهرُ العَتِيَّ فَتـــاةً .
وهو طِفلٌ يلهـــو بِطَوْقِ الوليـــدِ
شـــابَ من حَوْلِكِ الزمـــانُ وَمَا زلـ
ـــتِ كـــغُصْنِ الرَّيْحَانَةِ الأمْلُـــودِ[1]
أنـــتِ يا مِصْرُ بَسْمـــةٌ فى فم الْحُسْـــ
ـــن ، ودمعُ الْحَنَانِ فـــوقَ الْخُـــدُودِ

---

(١) الأملود : الغصن الناعم اللين .

أنـتِ فـــى الـقَفْرِ وَرْدَةٌ حَوْلَهَا الـشَّوْ
كُ ، وفى الـشـــوك عِـزَّةٌ لِلْـوُرُودِ[1]

يَلْثِمُ الـبـــحـــــرُ مِنْكِ طِيبَ ثـغُورٍ
بَيْنَ عَـــذْبِ اللَّـــمَى وبَيْنَ بَـــرُودِ[2]

يَا بُنَةَ الـنـيلِ أنـتِ أحْلَى مِـــنَ الْحُـبِّ
وأزْهَى مـن ضـــــــاحِكـاتِ الـوُعُودِ

نَثَرَ الـنـيلُ فـــيك تِبـــرًا وَأوْهَـى
لِيـنُهُ من قَـســـــاوةِ الْجُلْمـــــودِ[3]

فَتَـنَ الأوَّلِـيـنَ حَتَّـى أشـــــارُوا
نَحـــــو قُدْسِيِّ مـــائِهِ بالسُّجُودِ

وَوَشَـــى لـــلـــرِّيَاضِ ثـــوبًا وَحَلَّى
كـلَّ جِيـــــدٍ من الـرُّبَا بـعُقُـودِ

أنـتِ لـلآجِنـــــــيـنَ أُمٌّ ، وَوِرْدٌ
لِظِمـــــاءِ الـقـلـوبِ عَذْبُ الـورودِ

*

(١) المراد بالقفر هنا : الصحارى التى تحيط بمصر وتكتنفها .

(٢) الثغور : جمع ثغر وهو الفم . اللمىّ : سمرة الشفتين . البرود : البارد .

(٣) الجلمود : الصخر .

٤ - اللغـــة العربيـــة

يا ابـنةَ الســـابقـــين مـن قَحطانِ !
وتُراثَ الأمـــجـــادِ من عَدْنانِ ![1]
أنتِ علّمْتِنى البـيـان فـمـالى
كلّمـا لُحْتِ حـار فـيكِ بيـانى ؟
رُبَّ حُسْنٍ يعـــوق عـن وَصْفِ حُسْنِ
وَجَمـــالٍ يُنْسى جَمـــالَ المَعَانى
كـنْتُ أشْدُو بَيْنَ الـطُّيـــــورِ بِذِكْرا
كِ فـتـــعلو ألْحَانَهـــا ألحـــانى
وأصـــوغُ الشِّعـــرَ الذى يَفْرَعُ النَّجْـــ
ـــمَ وتُصْغِى لِجَرْسِه الـشِّعْرَيـانِ[2]
يا ابـنةَ الـضَّادِ أنتِ ســـرٌ مـن الْحُسْـ
ـنِ تجـلَّى عَلَى بَنِـى الإنســـان[3]

---

(١) ابنة السابقين : يريد اللغة العربيـة . قحطان : أبو العرب العاربة . تراث : ميراث
الأمجاد : جمع ماجد . الكريم الشريف . عدنان : أبو العرب المستعربة .
(٢) فرع القـوم: علاهم بالشرف أو الجمـال . الجرس : الصوت . الشعـرى : كوكب
وهما شعريان ، تزعم العرب أنهما أختا سهيل .
(٣) ابنة الضاد : اللغة العربية .

كنتِ فى الْقَفْرِ جَنَّةً ظَلَّلَتْهـــــــا

حـــالِيـــاتٌ من الْغُصـــونِ دَوانى[1]

لغـــةُ الفنِّ أنتِ والســـحْرِ والشِّعْرِ ،

ونُـــورُ الْحِجَا ، وَوَحْـــىُ الْجَنَـــانِ

رُبَّ جَيْشٍ مـــن الْحَديـــدِ تَوَلَّى

واجِفَ القلبِ مِن حـــدِيدِ اللِّســـانِ

وبـيَانٍ بَنَى لِصـــاحِبِه الْخُلْـــ

ـــدَ مُطِـلاً مِـنْ قِمَّـةِ الأزْمـــان

وقـــصِيـــدٍ قـــد خَفَّ حـــتَّى عَجِبْنا

كَيـــفَ نـــالَتْهُ كِفَّـــةُ الأوْزانِ !

*

(١) القفر : المفازة لا نبات بها : الغصون الحاليات الدوانى : أى المتحلية بالثمر القريبة القطوف .

٥ - العـــروبة

لُبـنانُ روضُ الـهـــــــوى والفـنُّ لُبـنانُ

الأرض مـــسكٌ، وهمسُ الدوحِ الحـــانُ[١]

هل الحِـــانُ على العـهدِ الـذى زعـمت ؟

وهل رِفـــاقُ شـبـــابى مـــثلَمـا كـــانوا ؟

أين الصِّبـــا ؟ أيـن أوتارى وبهـجـتُهـا ؟

طوت بســـاط ليـــاليـــهنَّ أزمـــان

أرنو لـهـــا الـيـــومَ والـذكـــرى تُؤرِّقـنى

كـــمـــا تنبَّه بـعـــد الْحُلمِ وسـنان[٢]

هبـنى رجـــعـتُ إلى الأوتـارِ رنَّتَهـــا

فـهل لَشـرْخِ الصبـا واللهـوِ رُجْعـان ؟[٣]

لا الكأس كـــأسٌ إذا طاف الحبـــاب بهـا

بعـد الشـبـابِ ، ولا الـريحـانُ ريحـان[٤]

---

(١) مسك : طيب له رائحة ذكية . همس الدوح : حفيف الأشجار الخافت .

(٢) أرنو : أنظر . وسنان : نعسان .

(٣) شرخ الصبا : أوله . رجعان : رجوع وعودة .

(٤) الحباب : هو ما يعلو الكأس من فقاعات .

مـا للخـمـيلةِ ؟ هل طارت بـلابلُهـا
وصَوَّحتْ بـعـد طـول الزَهْوِ أفـنانُ ؟[1]
وهَل رياضُ الهـوى ولَّت بشـاشـتُهـا
وغـادرْت ضـاحـكَ النُوَّارِ غُدران ؟[2]
كم مَد غـصـنٌ بهـا عـينًا مـشـرَّدةً
إلى قـدودِ الـعـذارى وهُو حـيـران[3]
لقـد رأى البـانَ لا تـسـعَى به قـدمٌ
فـيـا لـدُهْشـتِه لـمّا مـشـى البَانُ[4]
غِيـدٌ لهـا من شـذَى لُبـنانَ نفـحـتُه
ومن مـجـانيـه تفَّاحٌ ورمَّان[5]
من نَبْعِه خُلِقَتْ ، مـا بـالُهـا صـرفتْ
سِرْبَ الشـفـاء الحـيـارَى وهو ظمـآن ؟[6]

---

(١) صوحت : جفت .
(٢) ولت : مضت وذهبت . بشاشتها : فرحتها وابتسامتها . غدران : جمع غدير .
(٣) مشردة : تائهة . قدود : قوام .
(٤) البان : غصن الشجرة الطرى .
(٥) شذا : الرائحة الذكية النفّاذة . نفحته : رائحته . مجانيه : حصاده .
(٦) نبعه : أصله . سرب : جماعة .

عـيـنان أسكرتا شـعـرى فـإن عثَرَتْ

به السـبـيلُ ، فـعـذراً فـهـو نشـوان[1]

وطلعـةٌ كـخـدودِ الزهرِ غـازلـهـا

من الأصـائِل أطـيـافٌ وألوان[2]

من الـمـلائك إلاَّ أنهـا بـشـرٌ

وأنَّ نظـرتَهـا البَهـمـاءِ شَيْطَانُ[3]

* * *

لله أيـامُنـا الأولَى الـتـى سـلـفـتْ

وللـصـبـابـةِ مَيْدانٌ ومَيـدان[4]

والحبُّ كـالطيـر رَفَّافٌ عـلى فَنَنٍ

لـه إلى الإلْفِ تـغـريـدٌ وتَحنـان[5]

---

(١) عثرت : سقطت وكبت . نشوان : فرحان متمايل .

(٢) طلعة : رؤية وجهه . أصائل : جمع أصيل وهو الوقت من بعد العصر إلى غروب الشمس . أطياف : أخيلة .

(٣) البهماء : المبهمة .

(٤) سلفت : مضت . الصبابة : رقة الشوق وحرارته .

(٥) رفاف : متحرك مرفرف . فنن : غصن : الآلف : الأليف المحبوب .

هيـــمـــانُ والمـــاءُ فى لُبنانَ على كَثَبِ

لكنّه بـــسَوَى الأمـــواهِ هيـــمـــان[1]

بدت له جـــارةُ الوادى الخـــصـــيبِ ضُحًا

كلُّ الأحـــبـــةِ فى لُبنان جـــيـــران

فـــأرسل الـــعـــينَ فى صـــمـــتٍ بلاغـــتُه

بكلِّ مـــا قـــال فى دنيـــاه سَحْبـــان[2]

ولـلـعـــــيُونِ أحـــــاديـثٌ بلا كـلِمِ

وكم لهـــا فـى الهَوى شـــرحٌ وتبـــيـــان

والـــحـــبُّ سِرٌّ مـــن الـــفِرْدوسِ نَبْعَتُهُ

وخـيـرُ مـا يحـفَظُ الأسـرارَ كـتـمـان[3]

رنا لـهـــا فـــتـــمـــادتْ فى تَدَلُّلِهـــا

العـــينُ غـاضـبـــةٌ ، والقلـبُ جـذْلان[4]

---

(١) هيمان : هائم عطشان . كثب : قرب .

(٢) سحبان : هو سحبان بن وائل خطيب العرب وضرب به المثل فى الفصاحة .

(٣) نبعته : أصله .

(٤) رنا : نظر بطرف عينه . جذلان : فرحان .

وغطَّتِ الوجـــــهَ بالـمِنْديلِ فـى خَفَرٍ

كـــمـــا تَوارَى وراءَ الشكِّ إيمـــانُ[1]

وأعـــرضتْ وإباءُ الـغِيـــدِ لُعْبَتُهـــا

فكلّمـــا اشـــتـــدّ عُنْفًا فـهـــو إذعـــانُ[2]

إنَّ العـــذارَى - حـــمـــاك اللهُ - أحْجِيَةٌ

بهـــا النفـــورُ رضًا ، والـحقُّ نُكْرانُ[3]

هَزَزْتُ أوتارَ شـعـرى حـول شُرْفَتِهـا

كـــمـــا تـرنّم بالأســـحـــارِ رُعْيـــان

شـــعـــرٌ مـن الله تلحـــيـنًا وتهْيـــئَةٌ

لا النَّاىُ نـايٌ ، ولا العِيـــدانُ عِيـــدان

إذا شـــدا أنصـــتتْ أُذْنُ الـوجـــودِ له

وللـوجـــودِ كـــمـــا للـناس آذان

شـــدا لهـــا فـــرأى ليلُ الـهـــوى عَجَبًا

ولْهى يـجـاذبُهـــا الأشـــواقَ ولهـــان

---

(١) خفر : شدة الحياء . توارى : استتر واختفى .

(٢) إذعان : خضوع .

(٣) أحجية : ألغاز : النفور : البعد والجفاء .

ريّا حـوت فـتـنةَ الدنيـا غـلائلُهـا

يضـمُّهـا شـاعـرٌ للغيـد صَدْيَانُ[1]

لانتْ لشعـرى كـمـا لانتْ مـعـاطفُهـا

والشـعـرُ سـحـرٌ له بحـرٌ وأوزان[2]

فـتـنتُهـا حـينمـا همّتْ لـتـفـتِنَنى

والشـعـرُ للـخَفـراتِ البِيضِ فـتّان[3]

سـلاحُهـا لحظُهـا الـمـاضى وأسلحـتى

فَنٌّ يـجـرّدُه لـلـغـزوِ فَـنـان[4]

كـان الشـبـابُ شـفـيـعى فـى نضارته

الزهـرُ مـؤتلِقٌ ، والـعـودُ فَيْنان[5]

مـاذا إذا لمـحـتنى اليـومَ فى كِبـرى

ومِلءُ بُرْدَىَّ أسـقـامٌ وأشـجـان ؟[6]

---

(١) ريّا : بمعنى ناعمة . غلائلها : الملابس الشفافة الرقيقة . صديان : عطشان .

(٢) لانت : رقت وأطاعت . معاطفها : جوانبها .

(٣) فتنتها : سحرتها . الخفرات : شديدى الحياء .

(٤) لحظها : النظر بمؤخرة العين . يجرّده : يجرّد السيف من غمده أى يخرجه .

(٥) فينان : الحسن والطويل .

(٦) بردى : البرد كساء أسود تلبسه العرب .

طويتُ من صَفَحاتِ الدهرِ أكثرَها
وعَرَّفتنى تصاريفٌ وحِدْثان[1]
إنى كتابٌ إلى الأجيال تقرؤهُ
له التغنِّى بمجدِ العُرْبِ عُنوان

*

مجدٌ على الدهرِ مذ كانت أوائلُه
ودولةٌ لبنى القُصحى وسُلطَانُ
صَوَارِمٌ ربعت الدنيا لوثبتِها
وحُطِّمتْ صَوْلَجاناتٌ وتيجان[2]
الناسُ عندهُمُ أبناءُ واحدةٍ
فليس فى الأرض ساداتٌ وعُبْدان[3]
تراكضوا فوقَ خيلٍ من عزائمهم
لهم من الحقِّ أسْيافٌ وخُرْصان[4]

---

(١) عرفتنى : بمعنى اجهدتنى . تصاريف : نوائب ومكاره . حدثان : أحداث .
(٢) صوارم : قواطع . ربعت : فزعت . صولجانات : جمع صولجان وهو عصاة الملك.
(٣) عبدان : عبيد .
(٤) تراكضوا : أسرعوا فى العدو : خرصان : الرماح .

وكلّمـــا هـدمـــوا لِلشـــركِ بـاذخـــةً

أقـــيـم لـلديـنِ والقِسْطـاسِ بُنيـــان[1]

فى السلم إن حكمـوا كـانـوا مـلائكةً

وفى لَظـى الحـــرب تحتَ الـنقْعِ جِنَّان[2]

أقـلامُهـم سـايرتْ أسـيـافَ صـولـتـهم

للســيفِ فـتحٌ ، وللأقـلامِ عِرفـان[3]

فـأين مِن شـرعِهم رومـا ومـا تركت ؟

وأين مـن علـمـــهم فُرْسٌ ويـونان ؟[4]

كـــانوا أســـاتذةَ الآفـــاقِ كم نـهلتْ

من فـــيـــضِهم أممٌ ظَمْأى ويُلدان[5]

كـانوا يدًا ضـمّت الدنيـا أصـابعُهـا

فـفـــرّقـتْهـــا حَزازاتٌ وأضـغـــان

*

(١) الشرك : الكفر . باذخة : عالية . القسطاس : العدل .

(٢) لظى : نار ملتهبة . النقع : الغبار . جنان : من الجن .

(٣) صولتهم : الشجاعة والإقدام .

(٤) شرعهم : منهجهم وطريقتهم .

(٥) الآفاق : النواحى . نهلت : أخذت وشربت . فيضهم : عطائهم .

تنمـــرّ الغـــربُ واخـــمَّرت مـــخـــالبُه

وأرهفـت نابَهـــــا لـلفـــــتـكِ ذُؤبان[1]

ثـــاراتُ طـــارقِ الأولـــــى تُؤرِّقُهُـــم

ومـــا لمـــا تتـركُ الـثـاراتُ نـسـيـــان[2]

تيـقّظ الليثُ ليـثُ الشـرقِ مـحـتـدمًا

فـــارتجَّ منه الـشـــرى واهتـــزَّ خَفَّان[3]

غـضـــبـــانَ ردَّ إلى اليـــافـــوخِ عُفْرَتَه

وَمَنْ يصـــاولُ ليـثًا وهو غـــضـبـــان ؟[4]

لقـــــد حَمـــيْنا أُباةَ الضـــيـمِ حَوْزَتَنا

مَن أن تُبـــاحَ ، ودِنَّاهُم كـــمـــا دانُوا[5]

*

---

(١) ذؤبان : ذئاب .

(٢) طارق : هو طارق بن زياد الفاتح العربى المشهور .

(٣) محتدما : هائجا غاضبا . ارتج : اهتز . الشرى : طريق كثير الأسود . خفان : الملك .

(٤) اليافوخ : المخ . عُفرته : بمعنى لبدة الأسد . يصاول : يهاجم .

(٥) أباة الضيم : الذين لا يرضون بالذل والهوان . حوزتنا : بلادنا .

بنـى العـــروبةِ إنَّ الله يجـــمـــعُنا

فـــلا يفـــرِّقُنا فـى الأرضِ إنســـان

لـنا بـهـــا وطـنٌ حـــرٌّ نـلوذُ بـه

إذا تنـاءتْ مـــــافـــاتٌ وأوْطَانُ

غـــدا الـصليـبُ هلالاً فـى توحُّدِنـا

وجـمّع الـقـومَ إنجـيـلٌ وقـرآن

ـم نبـــالِ فُروقًا شَتَّتْ أُمـــمًا

عـدنـانُ غـسّان أو غـسّانُ عـدنان[1]

أواصـــرُ الدَّمِ والتـــاريخِ تَجـمـــعُنا

وكلُّنـا فى رِحـــابِ الـشـــرقِ إخـــوان

*

قلبـى ،، ـض دمـــوعى كلّمـــا خطرتْ

ذكـــــرىَ فِلَسْطيـن خـــفَّاقٌ وهـتَّان

لقـــد أعـــاد بهـــا الـتـــاريخُ أنْدلُسًا

أخـــرى ، وطاف بهـــا للشرِّ طوفـــان

---

(١) عدنان : من آباء العرب وأطلق اسمه على العدنانيين نسبة إليه . غسّان : أبو العرب الغساسنة ويدينون بالمسيحية .

مـيـراثُنا فى فـتى حطّينَ أين مـضى ؟

وهل نـهـايـتُنا يُتمٌ وحِرمـان ؟[1]

ردّوا تـراثَ أبينـا مـا لـكـم صِلَةٌ

به ، ولا لـكمُ فـى أمـرِنا شـان

مـصـيـبـةٌ برِم الصـبرُ الجـمـيلُ بهـا

وعزّ فـيـهـا عـلى السُلْوانِ سـلوانُ

بـنى فـلـسطيـن كـونوا أُمَّةً ويـدًا

قـد يخـتـفى فى ظِلالِ الوردِ ثُعـبـان

وكـيـف يأمَنُ رُعـيـانٌ وإن جَهِدوا

إذا تردَّى ثيـابَ الشـاءِ سِرْحـان ![2]

*

ومـصـرُ والـنيلُ مـاذا اليـومَ خطـبُهـمـا ؟

فـقـد سَرَى بحـديثِ النيلِ رُكْبـان

---

(١) فى حطيـن : هو القائد العربى الشـهيـر صلاح الدين الأيوبى المنتصر فى معـركة حطين.

(٢) رعيان : رعاة . تردّى : لبس . الشاء : الكثير من الغنم . سرحان : الذئب .

كنانةُ الله حصنُ الشرقِ تحرسُه
شيبٌ خِفافٌ إلى الْجُلَّى وشُبَّان[1]
أَبَوْا على القسر أن يرضَوْا معاهدةً
بكل حرفٍ بها قيدٌ وسَجّان[2]
وكم مَشَوْا للقاء الموتِ فى جَذَلٍ
والموتُ منكمشُ الأظفارِ خَزْيان[3]
ظل جمٍ شرايينٌ يعيشُ بها
ومصرُ للشرقِ والإسلامِ شِرْيان

*

بنى النهضة وية مدّوا للعلوم يداً
فلن تُقامَ بغيرِ العلمِ أركانُ

---

(١) كنانة الله : المقصود «مصر» . شيب : بيض الشعر . خفاف إلى الجلى : يهرعون فى خفة وسرعة إلى ميدان القتال .

(٢) أبوا : رفضوا . القسر : الإكراه على الأمر . معاهدة : المقصود معاهدة سنة ١٩٣٦ التى كانت مبرمة بين مصر وإنجلترا .

(٣) جذل : فرح . منكمش الأظفار : أظفاره غير طويلة لا يستطيع أن ينشبها فى ضحاياه. خزيان : مستحى وخجلان .

جمعتُمُ لشبابِ الشرقِ مؤتمراً

بمثله تزدهى الفصحى وتزدان

فقرِّبوا نهَجهم فالروحُ واحدةٌ

وكلُّهم فى مجالِ السبقِ أقران

لا تبتغوا غيرَ إتقانٍ وتجربةٍ

فقيمةُ الناسِ تجريبٌ وإتقان

وحبِّبوا لغةَ العُرْبِ الفصاحِ لهم

فإنّ خِذْلانَها للشرقِ خِذْلان

قولوا لهم إنّها عُنوانُ وَحْدَتِهم

وإنّهم حولَها جندٌ وأعوان

وكمِّلوهم بأخلاقٍ ومَرْحَمةٍ

فإنّما المرءُ أخلاقٌ ووِجْدان

٦ - قبعة بعد عمامة

كان الشاعر عضوا فى بعثة أرسلتها الحكومة المصرية إلى إنجلترا سنة ١٩٠٨ م فأرسل وهو هناك إلى والده صورته وهو بالقبعة وكتب تحتها هذين البيتين :

لَبِسْتُ الآنَ قُبَّعَةً بَعِيداً
عن الأوطانِ ، مُعتادَ الشُّجونِ
فإنْ هِيَ غَيَّرَتْ شكلى فإنِّى
« متى أضع العمامةَ تعرفونى »

٧ - السُّودان

أنشد الشاعر هذه القصيدة فى جمع حافل بالخرطوم فى زيارته للسودان الشقيق عام ١٩٤١ م .

يا نَسْمَةً رنّحتْ أعطافَ وادينا
قِفى نُحيِّك ، أو عوجى فحيِّينا [١]

مرَّتْ مع الصبح نَشْوَى فى تكسُّرها
كأنَّما سُقِيتْ من كفِّ ساقينا [٢]

أرختْ غدائرَها أخلاطَ نافجةٍ
وأرسلتْ ذيلَها وردًا ونسْرينا [٣]

كأنّها روضةٌ فى الأفقِ سابحةٌ
تمجُّ أنفاسُ مَسْراها الرياحينا [٤]

هبَّتْ بنا من جنوبِ النيلِ ضاحكةً
فيها من الشوقِ والآمالِ ما فينا

---

(١) رنّحت : أمالت . أعطاف : جوانب . وادينا : المقصود وادى النيل . عوجى : ميلى أو ارجعى .

(٢) نشوى : فرحة متمايلة . تكسُّرها : تمايلها .

(٣) أخلاط : هو امتزاج الأشياء . نافجة : المسك . نسرين : نبات ذو رائحة ذكية .

(٤) تمج : تنشر .

إنّا على العهدِ لا بعدٌ يحوّلنا

عن الودادِ ، ولا الأيامُ تُنْسينا

أثرتِ يا نسمَةَ السودانِ لاعجةً

وهجْتِ عُشَّ الهَوى لو كنتِ تدرينا[1]

وسرت كالحلم فى أجفان غانية

ونشوة الشوق فى نجوى المحبينا

ويحى على خافقٍ فى الصدر محتبسٍ

يكاد يطفر شوقًا حين تسرينا

مرّت به سنواتٌ ما بها أرَجٌ

من المُنَى فتمنّى لو تمرّينا![2]

*

(١) لاعجة : شدة وألم فى الصدر .

(٢) أرج : هو رائحة الطيب والمعنى أنها سنوات خالية من الأمانى .

٨ - الاسكندرية

بَدَتْ أعـلامُهـا فـهـفـا وهامَا
سـلامًا دُرَّةَ الـوادى سـلامَا[١]
بعـثْنَا بالتـحـيّةِ خَفْقَ قـلبٍ
يطيـرُ إليكِ شـوقًا واضـطرامـا[٢]
تـحـيـاتٌ إذا رفَّتْ أثـارتْ
أريجَ المـسـكِ ، أو ريحَ الخُزامى[٣]
نظـمْنَا لؤلـؤَ الفِرْدَوسِ فـيـهـا
وسـمّيناه تضليـلاً كـلامـا

*

عـروسَ الشـرقِ دونـكِ كُلُّ مَهْرٍ
وأين لمـثْلِ مـهـرِكِ أنْ يُسـامـا[٤]

---

(١) هفا : اشتاق وحنّ .
(٢) اضطراما : التهابا .
(٣) رفت : تحركت . أريج المسك : رائحة المسك النّاذة الذكية . الخزامى : نبت زهره أطيب الأزهار ويستعمل كدواء .
(٤) يساما : ساوم المشترى الشيء قدّر له ثمنا .

فـــجـــوهـرُ ثغـــرِكِ الفـــتّانِ فَرْدٌ

تأبَّى أنْ يرىَ فـــيـــه انـقـــســامـــا[1]

بَهـــرْتِ بنى الـزمـــــانِ حُلًى وحُسنًا

ودلَّهـتِ الأواخـــرَ والـقـــدَامَى[2]

«فـمكسُكِ» مُشْرِقُ البـــسـماتِ ضـاحٍ

«ورمـــلُكِ» جـــنّةٌ طـــابـــت مُقَامَا[3]

ترامَى الـمـــوْجُ فـــوق ثَراه صـــبًّا

وكـــم صَبٍّ تـمـنـى لـو ثَرامـى ![4]

«ونزهـتِك» البـديـعـةُ مـــا أحـيـلى

ومـــا أبـهَى اتّـســاقًا وانســجـامـــا[5]

---

(١) تأبى : تمنع .

(٢) حُلى : زينة وجمالا . دلهت : جعلتهم يتدلهون فى حبك .

(٣) مكسك : حى المكس الشهير بالأسكندرية . ضاح : واضح . رملك : حىّ الرمل بالأسكندرية . طابت : حسنت .

(٤) صبًا : مغرما .

(٥) نزهتك : حىّ النزهة بالأسكندرية .

إذا انتشرتْ أزاهرُها نثارا

جمعن الحسنَ فانتظم انتظاما[1]

*

جرى التاريخُ بين يَدَيْكِ طفلاً

وشمس الأفقِ لم تَعْدُ الفِطاما[2]

وصال البحرُ حولكِ منذُ «مينا»

عظيمًا يدفَعُ الكُرَبَ العظاما[3]

يحوطُ حماكِ أبيضَ أحوذيًا

كم جرّدتِ من غمدٍ حُساما[4]

فكم غارٍ به أمسى رميمًا

وكم فُلْكٍ به أمستْ حُطَامَا![5]

---

(١) نثارا : تفريقا وانتشارا وهو تأكيد .

(٢) تعد : تتعدى . الفطام : مرحلة الفطام أى فى الصغر .

(٣) مينا : أول ملك من ملوك مصر الفرعونية من الأسرة الأولى وموحد الوجهين (البحرى والقبلى) .

(٤) حماك : كنفك . أبيض : لونه أبيض واسمه الأبيض . أحوذيا : النشيط السريع فيما يعمل . جرّدت : أخرجت .

(٥) غار : عدو أتى غاريا . رميما : باليا . فلك : سفينة .

يمـــــدُّ يَدَيه نحـــــوكِ فى حنانِ

ويغـمـرُكِ اعـتـنافًا واسـتـلامـا[1]

ويشـدو فـى مـــــامـعـكِ الأغـانى

بلـحنٍ علَّم الـســجعَ الـحـمَامـا[2]

بـعـــــــثتِ الـنـورَ من زمـنٍ تـولَّى

وكنـتِ لنهـضـةِ العِلْمِ الدعـامـا

وفى فـجـرِ الزمـانِ طلعتِ فـجـرًا

على الـدنيـا ، فـأيقظتِ النِيـامـا

*

(١) اعتافا : ضمًا . استلامًا : تقبيلاً .

(٢) السجع : الكلام المسجوع - هديل الحمام .

٩ - رِثَـاءُ شَـوقِى

هَلْ نَعَيْتُـــم لِلْبُحْتُـــرِىِّ بَيَـــــانَهْ !

أوْ بَكَيْتُـــم لِمَعْبَـــدٍ أَلْحَـــانَهْ ![1]

أوْ رَأَيتُم رَوْضَ الْقَرِيضِ هَشِيـــــمًا

بَـعْدَ مَا قَصَّـــف الـرَّدَى ريحـــــانَه !

فُزِّعَـــتْ طَيْـــرُهُ ، فَحَـــوَّمَ يَبكِـــ

ـــينَ ذُبُـــولَ الْخَمِيـلَةِ الْفـــــيْنَانَهَ

كُـــنَّ فـــي ظِلِّهَا يُغَنِّـــينَ لِلشَّرْ

قِ وَيَنْهَضْـــنَ لِلْعُـــلاَ شُـــبَّانَه

كُـنَّ فِى ظِـلِّهـــــا يُحَيِّـينَ مَجْـدًا

صَاعِـــدًا ، ضَلَّـــتِ النُّجُـــومُ مكَانَه

كُـنَّ فى ظِلِّهـــــا يُنَاغِـيـنَ آمَـــــا

لاً وَيَـــبْعَثْنَ هِمَّـــــةً وَهَنَـــــانَهْ

---

(١) نعيتم : النعى الإخبار بالموت . البحترى : شاعر عباسى اشتهر بالرقة والانسجام وجمال تصوير المعانى ، ونقاء الأسلوب . بكيتم لمعبد الخ : اخبرتم معبداً بموت ألحانه . ومعبد : مغن مشهور بجمال الصوت وحسن التوقيع . عاش فى أوائل الدولة الاموية .

أيُّهـــــــا الطَّيْرُ ضَـنَّ مَاءُ الْقَوافـي
قَبـــــــــذَلْنَا دُمُـــوعَنَا الـهَتَّانَهْ[1]

مَاتَ يَا طَيْـــرُ صَادحٌ تَـنْجُـدُ الـطَّـــ
ـــيْرُ إِذَا رَجَّـــعَ الـصَّدَى تَحْتَـــانَهْ

نَبَـــــرَاتٌ تَخَـــالُهَا صَـــوْتَ دَاوُ
دَ بِلَفْـــظٍ تَخَـــالُهُ تِبْيَـــانَهْ[2]

عَلَّمَـــتْ الابْتِسَـامَ زَنْبَقَـــةَ الْـوَا
دِي وَأَوْحَـــتْ لِغُصْـــنِهِ مَيَـــلانَهْ[3]

مَاتَ شَوْقِـي ، وَكَـــــانَ أَنـفَذَ سَهْمٍ
صَائِـبِ الـرَّمْيِ مِـنْ سِهَـامِ الـكِنَانَهْ[4]

ابْكِ لِلـشَّمْسِ فِي الـسَّمَـــــاءِ أَخَاهَا
وَابْـــكِ لِلـــدَّهْرِ قَلْبَـــهُ وَلِسَانَهْ

---

(١) ضن : بخل . القوافى : جمع قافية ، والمراد الشعر ، ويراد بماء القوافى جمالها ونضرتها . والهتانة : الهاطلة .

(٢) داود : من رسل الله عليهم السلام ، اشتهر بجمال صوته وحسن توقيع مزاميره .

(٣) الزنبق : الياسمين . والوادى : هو وادى النيل .

(٤) أنفذ : أمضى . والكنانة : جعبة السهام ، وهى أيضًا مصر ، وفى الأثر : مصر كنانة الله فى أرضه .

وَابْكِـــهِ لِلنُّجُوم ، كَـــمْ سَامَـــرَتْهُ
مَالِئـــــاتٍ بِوَحْيِهـــــا آذَانَـــهْ[1]
وَابْكِ لِلـــرَّوْضِ وَاصِفًا يَخْجَـــلُ الـــرَّوْ
ضُ إِذَا هَـــزَّ بِالْيَـــرَاعِ بَنَـــانَهْ[2]
وَابْكِـــهِ لِلْخَيَـــــالِ صَفْـــوًا نَقِيًّا
إِنَّهُ كَـــــانَ فِـى الْـــوَرَى تَرْجُمَانَه

*

مَلأَ الـــشَّرْقَ مَوْتُ مَنْ مَلأَ الـــشَّرْ
قَ حَيَـــاةً وَقُـــوَّةً وَزَكَـــــانَهْ[3]
كَمْ يَتِيمٍ مِنَ الْمَـــــعَانِـى غَرِيبٍ
مَـــسَحَـــتْ كَفُّـــهُ عَلَيْـــهِ فَصَـــانَهْ[4]

---

(١) سامرته : حادثته ليلا .

(٢) اليراع هنا القلم . والبنان : أطراف الأصابع .

(٣) الزكانة : الفهم والفطنة .

(٤) اليتيم : الصغير الذى مات أبوه . ويتيم المعانى فريدها الذى لا يصل إليه إلا الفكر النفاذ . والمسح على رأس اليتيم كناية عن الرفق والرحمة .

وَشَمُـــوسٍ رِنَا إِلَيْـــهِ ، فَأَلْقَـــى
رَأْسَـــهُ خَاضِعًا وَأَعْطَـــى عِـــنَانَهْ[1]
وَنَفُـــورٍ أَزْرَى بِـــصَيَّادِهِ الـــطِّبّ
وَأَعْـــيَا قِـــيَّهُ وَسِـــنَانَهْ[2]
نَظْـــرَةٌ تَلْتَقِـــي بِهِ يَنْهَـــبُ الْـــوَا
دِي ، وَأُخْـــرَى تَرَاهُ يَطْـــوِي رِعَـــانَهْ[3]
تَسْبِقُ الـسَّهْمَ عِـــــــيْنُهُ ، فَتَـــرَاهُ
يَتَلَـــوَّى تَلَـــوِّيَ الـخَيْـــزُرَانَهْ[4]
ثُمَّ يَخْفَـــى ، فَـــلاَ تَرَاهُ عُيُـــونٌ
ثُمَّ يَبْـــدُو ، فَلاَ تَشُـــكُّ عِيَـــانَهْ
أَجْهَـــدَ الْفَارِسَ الـمُلِـــحَّ ، وَأَفْنَـــى
نَبْلَهُ حَـــوْلَهُ ، وَأَضْنَـــى حِصَـــانَهْ

---

(١) الشموس : الفرس الجامح ، ويراد بها المعنى المستعصى على القائل . رنا : أدام النظر . العنان : سير اللجام .

(٢) أزرى : احتقر . الطب : الخبير الحاذق . أعيا : أعجز . القى : جمع قوس وهى آلة للحرب والصيد . والسنان : جمع سن : وهى طرف السهم .

(٣) الرعان : جمع رعن وهو الجبل .

(٤) العيان : المشاهدة .

١٠ - مصيف رشيد

أنشد الشاعر هذه القصيدة فى احتفال كبير أقيم ببلد الشاعر «رشيد» بمناسبة افتتاح مصيفها سنة ١٩٣٩ م :

أرشـــــيـــــدُ لا جُـرْحٌ ولا إيـلامُ
عـاد الزمـــانُ وصـحّتِ الأحـلامُ ![1]
وتمـــثّلتْ فـــيكِ الحـــيـــاةُ فَتيّةً
من بعـــدِ مـــا عـــبـــثَتْ بـكِ الأيام[2]
يا زينةً بـيْنَ الثـــغـــورِ وفـــتـنةً
سـحرَ الـمـمـالكَ ثغـرُكِ البـسّام[3]
يا وردةً بـين الـرمـــالِ نضـــيـــرةً
تُزْهَى بهـا الأغـصـــانُ والأكـمـام[4]
يا درّةَ الـبـــحـــرِ التى بومـيـضـهـا
ضـحِكَ الـصـبـاحُ ، وأشـرق الإظلام[5]

---

(١) إيلام : ألم . صحت : تحققت .
(٢) تمثلت : تشبهت . فتية : شابة . عبثت : لعبت .
(٣) الثغور : الموانى على البحر .
(٤) تزهى : تفتخر .
(٥) درة : جوهرة ثمينة . وميضها : نورها ولمعانها .

يا دَوْحـــةً نَبَـت القـــريـضُ بأرضِهـــا

فـــأصـــولُهـــا وفـــروعُهـــا إلـهـــام[1]

يا روضـــةً فـتـن العـيـــونَ جـمـالُهـا

وتحـــــدّثت بـأريجِهـــا الأنســـــام[2]

يا هـمـــــــــةَ الأملِ الوســـيمِ رُواؤه

لو كـــان للأملِ الـوسـيم كـــلام ![3]

يا صـــحـوةَ المـــجـدِ القـديمِ تحـدَّثي

طال الـزمـــانُ بـنا ونـحن نيـــام !

يا طلـعـــةً للحـــسنِ شـــاع ضـيـــاؤها

وانجـــاب عنهـــا البـــحـــرُ وهو لِثـام[4]

*

أرشـيـــدُ يا بـلدي ويا ملـهَى الصـبـــا

بيـنـي وبين مَدَى الصـــبـــا أعـــوام ![5]

---

(١) دوحة : الحديقة ذات الشجر العظيم . القريض : الشعر . الهام : وحي من الله .

(٢) أريجها : رائحتها الطيبة . الأنسام : الهواء الطيب .

(٣) الوسيم : الجميل . رواؤه : بهاؤه .

(٤) انجاب : انكشف . لثام : ستر ونقاب .

(٥) مدى : غاية .

أيـــامَ لـــى فـــى كـــلِّ سَرْحٍ نَغْمَةٌ

ويكـلِّ ركنٍ وقـــفـــةٌ ولِمـــام[1]

أيـام لا أمـــــــــــــى يـجُرَ وراءه

أســـفًا ، ولا يـومى علـىّ جَهـــام[2]

ألهـو كـمـا تلهـو الطيـورُ ، حـديثهـا

شـــدْوٌ ، ورَفُّ جَنـاحِهـــا أنـغـــام[3]

مـــــــتـنـقِّلاتٍ بيـن أزهـارِ الـرُّبـا

الجـــوُّ مَتْنٌ ، والنـســيمُ زِمـــام[4]

ومطـالبى لـم تَعْدُ مـــدَّةَ ســـاعـــدى

بُعْدًا ، فـمـا اسـتـعـصَى علىّ مـرام

لهُو الـطفـولة خـيـــرُ أيامِ الفـتَى

إنّ الحـــيـــــاةَ وكَدَحَهـــا أوهام !

*

---

(١) سرح : فناء الدار . نغمة : لحن وكلام منغم . لمام : اجتماع .

(٢) جهام : السحاب لا مطر فيه والمراد باليوم الجهام : اليوم لا خير فيه ولا سرور .

(٣) رف جناحها : تحريك جناحها يشبه الألحان الجميلة .

(٤) متن : مطية . زمام : مقود .

أرشيدُ ، فيكِ لُبانتى وصَبابتى

والصَّهْرُ والأخوالُ والأعمام[1]

لمستْ حنو الحبِّ فيكِ تمائمى

ورأيتُ فيكِ الدهرَ وهو غلام[2]

ونشأتُ فى ظلِّ النخيل يَهُزُّنى

شوقٌ إلى أفيائها وغرام[3]

تْ شعورًا للنسيم كأنّما

أظلالُها تحت الغَمامِ غمام[4]

بهفـ ويمنعها الحياءُ فتنثنى

كالغيدِ روّعَ سِرْبَها اللُّوام[5]

---

(١) لبانتى : حاجتى . صبابتي : رقّة شوقى وحرارته .

(٢) تمائمى : تعاويذى .

(٣) أفياؤها : ظلها .

(٤) شعورا : يقصد سعفها الذى يشبه الشعر مسدل من رأس النخلة . أظلالها : ظلها . الغمام : سحاب .

(٥) روّع : أخيف . سربها : جماعتها . اللّوام : اللائمون .

إنا كـــبِرْنا يا نـخـــيلُ وحـــبُّنا

بـيـن الجـــــــوانـحِ شُعْلـةٌ وضِرام[1]

كم طـوّقَتْ منكِ الـقُدودَ ســواعــدى

ولكـم شـفـــانى مـن جَناكِ طعـــام[2]

ولكم هـززتِ فـتـــاكِ حـــين حـــملته

كـــــالأمِّ تُلْهى الـطفـلَ حـــــين ينام

إن يُقْضِ عـنـكِ الـزمـــــــانُ وأهْلُـهُ

فـــالْحُبُّ عـــهـــدٌ بيتنا وذِمـــام[3]

مِيـــسى كـــأيامِ الطـفـــولـةِ وارْفُلى

فـــالجـــوُّ صَفْوٌ ، والنعـيـمُ جِمـام[4]

غـنّى لـك القـلـمُ الـذى أرهفـــــــته

أرأيتِ كـــيـف تغـــبرُّدُ الأقـــلام ؟

---

(١) الجوانح : الأضلاع . ضرام : نار .

(٢) طوّقت : أحاطت . جناك : حصادك .

(٣) يقضى : يبعدنى . ذمام : حرمة - توثيق .

(٤) ميسى : تبخترى . إرفلى : إنعمى . جمام : كثير .

هذا وليـــدُك جـاء يُنـشـد شـــعـــرَه

مـــا كلُّ مـا تـحـوى الخـــيـــوطُ نِظام[1]

أصـــغَى لـه الوادى ، وغنّتْ باســـمـــه

بغـــدادُ ، واهتـــزَّت إلـيـــهِ الشـــام[2]

إن قـــــال مـــــال لـه الوجـــــودُ برأسِه

ورنَت له الأســـمـــاعُ والأفـــهـــام[3]

ملك الـعَصى من القـــريضِ بســـحـــره

طَوْعًا ، فـمـا اسـتـعـصَى عليـه خِطام[4]

*

أرشـيـدُ ، هل فى أن يـبـوحَ أخـو الهـوى

حَرَجٌ ، وهل فـى أن يَحِنَّ مـــــلام ؟[5]

---

(١) نظام : نظم الشعر .

(٢) الوادى : وادى النيل أى مصر والسودان .

(٣) رنت : نظرت .

(٤) العصى : الشارد من الألفاظ . القريض : الشعر . خطام : زمام .

(٥) أخو الهوى : المحب لك يقصد نفسه .

يا مَرْتَعَ الآرامِ رَنحـــهـــا الصِّبـــا

كـــيـف المـــراتعُ فـــيكِ والآرام ؟[1]

مـن كلِّ لـفَّاء المـــعـــاطف طَفـلَةٍ

جِيـدٌ كـمـا يهـوَى الهـوَى وقَوام[2]

ســترت مـلاحـتَهـا المُلاءَةُ مـثلمـا

ســتـر الغـمـامُ البـدرَ وهو تمـام[3]

يدنو الجمـالُ بـهـا فـيحجبـهـا التُّقَى

«كَظِبـاء مـكةَ صـيـدُهنّ حـرَام»

فـإذا نظـرتَ فـخـذْ لنـفـسِك حِذْرها

إنّ العـيـونَ - كـمـا علمتَ - سـهـام

*

أرشـيـدُ ، مجـدُكِ فى القـديمِ صـحيـفـةٌ

بيـــضـــاءُ ، لا لـبْسٌ ولا إبهَام[4]

---

(١) مرتع : موضع اللهو واللعب . الآرام: الظباء . رنحها : ميّلها .

(٢) لفّاء : لابسة . المعاطف : جمع معطف وهو ما يلبس فوق الملابس . طَفْلة : رخصة ناعمة .

(٣) سترت : أخفت .

(٤) لبس : شك .إبهام : غموض .

مــلأتْ مــآذنكِ الســمــاءَ شــوامــخًا

بيـن الســحــابِ كــأنّهــا أعــلام

كم شـــاهدتْ قـــومًا زهتْ أيامُهم

حـــينًا ، وجـــاءت بعـــدَهم أقـــوام

ســبــحــانَ من لا مــجــدَ إلاّ مــجــدُه

نَفْنَى وَيَبــقَى الواحــدُ العــلاَّم[1]

خـذْ من زمـانكَ مـا استطعْت فـمـا لمـا

أخـــذتْ يـداكَ من الـزمـــان دوام[2]

وارضَ الحـيــاةَ نعـيـمَهـا أو بؤسَهـا

نُعْمى الحـيــاةِ وبؤسُهـا أقـــسام[3]

*

أرشـــيـــدُ ، لم نـــسَمَعْ لصـــدرك أنّةً

لـلـنّازلاتِ الدُّهْمِ وهـى جِســـام[4]

---

(١) العلاّم : كثير العلم منذ الأزل وعلم الله سبحانه وتعالى صفة أزلية .

(٢) دوام : بقاء .

(٣) ارض : اقنع . أقسام : حظوظ مقدرة .

(٤) أنة : أنين وألم . النازلات : الكوارث . الدهم : السود المظلمة . جسام : كبيرة وشديدة .

أجـملتِ صـبـرًا للحـوادثِ فـانثنت

إنّ الـكـرامَ عـلـى الـخـطـوبِ كِرام[1]

الـيـومَ جـدّدْتِ الشـبـابَ فـأقْدِمى

مـعـنى الشـبـابِ العـزمُ والإقـدامُ

سـعت الوفـودُ إلـى مـصـيـفك سـبّقًا

يتـلو الـزحـامَ إلى سـناه زحـام[2]

الـنـيلُ والبـحـرُ الخِضَمُّ يـحـوطُه

والبـاسـقـاتُ على الـطريق قـيـام[3]

والـتـوتُ والصَّفْصـافُ يـهـتفُ طيـرُه

فـتـردّدُ الكُثْبـانُ والآكـامُ[4]

والزهـرُ فى جِيـدِ الـرياضِ قـلائدٌ

والـنـهـرُ فـى خَصْرِ الـريـاضِ حِزام[5]

---

(١) أجملت : أحسنت - تصبرت . انثنت : ذهبت وطويت .

(٢) سناه : نوره .

(٣) الخضم : ذو الأمواج المرتفعة الكبيرة . الباسقات : العاليات يقصد النخل العالى .

(٤) التوت والصفصاف : أنواع من الشجر الكبير العالى . الآكام : التلال المرتفعة .

(٥) خصر : الوسط .

والمـــوجُ كـــالخـــيلِ الـجـــوامحِ أُطْلِقت

وانـحلّ عـنهـــــا مِقْوَدٌ ولـجـــــام[1]

تجـــرى الســـفـــائنُ فـــوقَه وكَـــأنّهـــا

والريحُ تـدفع بالشـــراعِ ، حـــمـــام[2]

ومناظـرٌ يَعْـيْا القـــريضُ بوصـــفِهـــا

ويـضِلُّ فى ألـوانهـــــا الـرّســـــام[3]

والنـاسُ بين مـــمـــــازحٍ ومـــداعبٍ

والأنـسُ حـــــتمٌ والســـــــرورُ لِزَامُ

من شـــاء فى ظلِّ الســعـــادةِ ضَجْعَةً

فـــهنا تُشـــادُ صُرُوحُهـــا وتُقـــام[4]

أو رام نِسْيـــانَ الـهـــمـــوم فـــهـــا هنا

تُنْسَى الهـــمـــــومُ ، وتذهَبُ الآلام[5]

---

(١) الجوامح : الشاردة . مقود : الذى تقاد به الدابة . لجام : ما يوضع فى فم الفرس لقيادته .

(٢) السفائن : السفن .

(٣) يعيا : يعجز . يضل : يتوه .

(٤) تشاد : تبنى . صروحها : مبانيها العالية .

(٥) رام : ابتغى وأراد .

١١ - حَنِينُ طَائِرٍ

نظمت هذه القصيدة فى سنة ١٩١٥ م

طَائِرٌ يَشْدُو عَلَى قَنَنِ
جَدَّدَ الذِّكْرَى لِذِى شَجَنِ
قَامَ والأَكْوَانُ صَامِتَةٌ
ونَسِيمُ الصُّبْحِ فى وَهَنِ
هَاجَ فى نَفْسِى وقَدْ هَدَأَتْ
لَوْعَةٌ لَوْلاهُ لَمْ تَكُنِ
هَزَّهُ شَوْقٌ إِلَى سَكَنٍ
فَبَكَى لِلأَهْلِ والسَّكَنِ
وَيْكَ لا تَجْزَعْ لِنَازِلَةٍ
مَا لِطَيْرِ الْجَوِّ مِنْ وَطَنِ[1]

---

(١) ويك : عجبا لك . والجزع : نقيض الصبر . والنازلة : الشديدة من شدائد الدهر تنزل بالناس .

قـــــــــد يَراكَ الـصُّبْحُ فـى حَلَبٍ

ويَراكَ الـــــلَّيْلُ فـــــى عَدَنْ[1]

أنْت فـى خَضْرَاءَ ضـــــــــاحكـة

مِـــنْ بُكَاءِ العـــــارِضِ الْهَـــتِنْ[2]

أنْتَ فـــى شَجْـــــرَاءَ وَارِفَـــــة

تـــارِكٌ غُصُـــنًا إلـــى غُصُـــنِ[3]

عـــــــابِثٌ بـالـــزَّهْرِ مُعْتَبِـــطٌ

نـــاعِمٌ فـــى الْحـــلِّ والـــظَّعَنْ[4]

فـــــى ظِلالٍ حَوْلـــــــهَا نَهْرٌ

غَيْـــــرُ مَسْنُـــــونٍ ولا أسِـــنْ[5]

---

(١) حلب : بلد فى سورية بـالقرب من حدودها الشـمالية . وعـدن : بلد على ساحل الخليج المسمى باسمها جنوبى جزيرة العرب .

(٢) العارض : السحاب المعترض فى الأفق . والهتن : المنصب الهطل .

(٣) أرض شجراء : كثيرة الشجر .

(٤) الحل : مـصدر حل المكان وحـل به أى نزل به . والظعن بسكون العين وفتحهـا مصدر ظعن أى سار وارتحل .

(٥) مـسنون : متن . والآسنُ من الماء : الآجن وهو المتغير الطعم واللون .

فـي يَدَيْكَ الـرِّيـحُ تُرْسِلُهـــــــا

كَيْفَمـــــــا تَهْوَى بـلا رَسَنْ[1]

يـا سُلَيْمـــــانَ الـزَّمـــــانِ أَفِقْ

لَيْسَ لِلَّـــذّاتِ مِـــنْ ثَمَـــنْ[2]

وابْعَـــثِ الأَلْحـــــــانَ مُطْرِبَـــةً

يـا حَيـــــــاةَ الْعَـــيْنِ والأُذُنْ

غَـــنِّ بـالـدُّنْيَا وزِينَتِهـــــــا

ونِظَامِ الْكَـــــــوْنِ والـــسُّنَنْ[3]

وبِقِيـــــعَانٍ هَبَطْـــتَ بِهـــــا

وبِمـــــا شَاهَـــدْتَ مِـــنْ مُـــدُنْ[4]

---

(١) تهوَى : تحب . الرَّسن : الحبل تربط به الدابّة .

(٢) سيدنا سليمان بن سيدنا داود عليهما السلام ، والمعنى أن الله قد سخر لك الريح كما سخرها من قبل لسليمان .

(٣) السُنن : جمع سُنّة وهى الطبيعة .

(٤) القيعان : جمع قاع وهو المستوى من الأرض .

وبأزْهار الصَّبـــــــاحِ وقَـــدْ
نَهَضَـــتْ مِـــنْ غَفْـــوَةِ الـوَسَنِ
وبِقَلْـــبٍ شَفَّـــــهُ ولَـــــهٌ
حـــــافِظٍ لِلْعَهْـــدِ لـم يَخُنِ[٢]
كُـــلُّ شَـــيءٍ فـى الـدُّنا حَسَنٌ
أيُّ شَـــيءٍ لَيْـسَ بـالْحَسَـــنِ[٣]
خـــالِقُ الأكْـــوانِ كالـشُهـــا
وَاسِـــعُ الإحْسَـــانِ وَالْمِنَـــنِ[٤]

*

كـــــانَ لِى إلْـــفٌ فَأبْعَـــدَهُ
قَـــدَرٌ عَنِّـــى وأبْعـــــدَنى[٥]

---

(١) الغفوة : النومة الخفيفة . الوَسَن : النعاس .
(٢) شفّه الهم : هزله . الوله : الهمّ والحزن والحيرة .
(٣) الدُّنا : جمع دنيا .
(٤) كالؤها : حافظها . المنن : جمع منّة وهى النعمة .
(٥) الإلف : الأليف والحبيب . القدَر : ما يقدّره الله عزّ وجل ويقضى به .

أنـا مَـدَّ الـدَّهْـرِ أذْكُـرُهُ
وَهْـوَ مَـدَّ الـدَّهْرِ يَذْكُرُنـي[1]
قـد بَنَيْنا الْعُـشَّ مِـنْ مُهَـجٍ
غُسِلَـتْ مِـنْ حَـوْبَةِ الـدَّرَنِ[2]
مِنْ لَدُنْـهُ الْـوُدُّ أخْلَـصُهُ
والْوَفـا والـطُّهْرُ مِـنْ لَدُنِي
كـانَتِ الأطْـيَارُ تَحْسُدُهُ
جَنَّةَ الْمَـأوَى وتَحْسُـدُنـي
وظَـنَنَّا أنْ نَعِيـشَ بِـهِ
عِيـشَةَ الْمُسْتَعْصِمِ الأمِنِ
فَرَمَـتْ كَـفُّ الـزَّمَانِ بِـهِ
فَكَـأنَّ الْعُشَّ لَـم يَكُنِ
طـارَ مِـنْ حَـوْلِي وَخَلَّفَنِـي
لِلْجَـوَى والْبَـثِّ والْحـزَنِ[3]

---

(١) مدّ الدهر : مداه وطوله .

(٢) المهج: جمع مهجة وهى النفس والروح . الحوبة: الإثم والذنب . الدرن : الوسخ

ونَأى عنِّـــي ومـــــــا بَرِحَـــتْ

نـازِعـــــــاتُ الشَّوْقِ تَطْرُقُنـي[1]

وَمَضـــي والْوَجْـــــــدُ يَسْبِـــقُهُ

وَدُمُـــوعُ الْعَـــيْنِ تَسْبِـــــقُنـي[2]

*

إنْ تَـــزُرْ يـا طَيْـــرُ دَوْحَتَـــهُ

بَيْنَ زَهْرٍ نـــــــــاضِرٍ وجَنِي[3]

وَشَهِـــدْتَ «الـتِّمْسَ» مُضْطَـــرِبًا

واثِبًا كـــالـصـــافِنِ الأَرِنِ[4]

عَبَثَـــتْ رِيـحُ الـشَّمَـــــــالِ بِـه

فَطَغَـــى غَيْظًا عـلـى الـســـــفُنِ[5]

---

(٣) الجوى : الحرقة وشدة الوجد . البث : أشد الحزن .

(١) نأى : بعد . النازعات : جمع نازعة وهى ميل النفس الشديد . تطرقنى : تجيئنى . والطروق فى الأصل المجئ ليلاً .

(٢) الوجد : الحزن والحب .

(٣) الجنى : ما يجنى من الشجر ما دام غضبا .

(٤) التمس : نهر مشهور فى إنجلترا . الصافن : من الخيل ما قام على ثلاث قوائم وطرف حافر الرابعة . الأرن : النشيط مصلت الأذنين .

(٥) الحلى : جمع حلية وهى الصفة ، والحلية أيضًا الحلى وهو ما تتزين به المرأة من

فَانْشُـــدِ الأَطْيَـــارَ واحِـــدَهَـــا

فـــى الْحُلَـــــى والْحُسْـــنِ والْجَدَنْ

وَتَـــرَيَّثْ فـــى الْمَقَـــالِ لَـــهُ

قـــد يَكُـــونُ الْمَـــوْتُ فى اللَّسَنِ![1]

صِـــفْ لَهُ يـا طَيْـــرُ مـــا لَقِيَـــتْ

مُهْجَتِـــى فـى الْحُـــبِّ مِـــنْ غَبَنْ[2]

صِـــفْ لَـــهُ رُوحًا مُعَـــذَّبَـــةً

ضـــاقَ عـن آلامِهـــا بَدَنِـــى

صِـــفْ لَهُ عَيْـــنًا مُقَرَّحَـــةً

لأَبِىٍّ الـــدَّمْـــعِ لَمْ تَصُنِ

*

يـــا خَلِيـــلِى والْهَـــوَى إِحَـــنٌ

لا رَمَـــاكَ اللهُ بـــالإِحَنِ[3]

المصوغات والجواهر ونحوها . الجدن : حسن الصوت .

(١) تريث : اتئد وتمهل . المقال : القول . اللسن : الفصاحة .

(٢) المهجة : النفس . الغبن : مصدر غبنه فى البيع ونحوه يغبنه أى خدعه .

(٣) الخليل : الصاحب . والهوى : الحب . الإحن: جمع إحنة ، وهى الحقد والغضب

إِنْ رَأَيْتَ الْعَيْنَ نَاعِسَةً

فَتَرَقَّبْ يَقْظَةَ الْفُتُنِ[1]

أَوْ رَأَيْتَ الْقَدَّ فِي هَيَفٍ

فَاتَّخِذْ مَا شِئْتَ مِنْ جُنَنِ[2]

قَدْ نَعِمْنَا بِالْهَوَى زَمَنًا

وَشَقِينَا آخِرَ الزَّمَنِ !

---

(١) عين ناعسة : فاترة ، والفتور من صفات الحسن فى عيون النساء .

(٢) القد : اعتدال القامة وحسن التقطيع . الهيف : ضمور البطن ورقة الخاصرة . والجنن: جمع جنة وهى السترة وكل ما وقى .

١٢ - خلـود

نظم الشاعر هذه القصيدة فى ذكرى الشاعرين أحمد شوقى وحافظ إبراهيم عام ١٩٤٧ م :

ضلّ شـــعـــرى وندّ عنى بيـــانى
مـا على الشاعـرين لو أرشـدانى ؟[١]
ضـــاع فى ظلمـــةِ المـــشيبِ أنينًا
وبكى فـى الصِّبـــا بيـاضَ الأمـــانى
مِزْهَرٌ أنَّ فـى قِفـــــارٍ فـــلاةٍ
وابنُ غُصْنٍ شـدا بلا أغـصـان ![٢]
بين قـــومٍ مـــارَنَّ فـى سـمـــعِهم أحـ
ـــلَى نشـــيـدًا مـن أصـفـــرِ رنّان[٣]

---

(١) ضل : تاه وضاع .

(٢) مزهر : العود الذى يضرب به . أن : أخرج صوتا هو أنين الحزين . قفار : أرض لا نبات فيها . فلاة : صحراء . ابن غصن : المقصود الطير المغرّد . شدا : غنى .

(٣) أصفر رنان : الذهب ورنينه والمقصود النقود عامة .

صـدَقتـهم عن خـالدِ الفـنِّ أضغـا

ثٌ وزَهْوٌ من كـاذبِ العـيش فـانى[1]

هاتِ سـمـعًا أُسْمِعْكَ رائعَ أنغـا

مى ، وإلاَّ فـاذهبْ ودعنى وشـانى

أنا فـى أمـةٍ بهـا جـدولُ الفـر

بِ طـغَى سـيلُه على الأذهَانِ

إن رأوْا صـفـحـةً بهـا بيتُ شعـرٍ

تركـوه يبكى على كلِّ بانى

صِحْتُ فيـهم فـعـاد صوتى مع الري

ـحِ ، وعـادت حـزينةً الحـانى

فى كـسـاءِ القـريضِ أخـفـيتُ دُرِّى

وخَزَنتُ الـغـريبَ مـن مَرْجـانى[2]

---

(١) صدقتهم : الهتهم - أبعدتهم - أمالتهم . أضغاث : أحلام . زهو : تكبر . فانى : زائل .

(٢) كساء : بوار . القريض : الشعر . درى : نسبة إلى الدر أى الجواهر . خزنت : حفظت فى الخزائن . مرجانى : حجر كريم نادر وثمين .

وتـمَنّـيـتُ كـلَّ شـيءٍ عـلـى الـلـ

ـهِ سـوى أن أعـيـشَ مـن أوزانى[1]

كلُّ شِبْرٍ بمـصـر خِصْبٌ على الـهـرّا

جِ ، جـدبُ الـشـرى على الـفنّان ![2]

*

سكـت العـنـدليبُ فى وحـشـةِ الدَّوْ

حِ ، وغـنَّتْ نـواعـقُ الـغِرْبـان[3]

فـمـعـنا من الـنشـوز أفـانـيـ

ـنَ يـروِّعْنَ صـادحَ الأفـنـان[4]

أسـمَعـونا برغـمنا فـصـبـرنا

ثـم ثُرْنـا غـيْظًا عـلـى الآذَانِ

---

(١) أوزانى : نسبة إلى أوزان الشعر .

(٢) الهراج : المهرج . جدب الثرى : أرض قحط لا نبات فيها ولا ثمر .

(٣) العندليب : طائر مغرد والشاعر يقصد نفسه . وحشة : الخلوة المخيفة . نواعق : صوت الغراب . الغربان : جمع غراب وهو الطائر المعروف .

(٤) النشوز : الخروج عن المألوف . يروعن : يخفن . صادح الأفنان : المغنّى بين الأغصان والمقصود الطيور ذات الصوت الجميل .

جلبـــوا لـلقـــريـضِ ثوبًا مـن الغَر

بِ ، ولم يجلِبوا سـوى الأكـفـان !

ثم قـــالوا مـــجـــدِّدون فـــأهلاً

بصـناديـدِ أخـــريات الـزمـــان[1]

لا تثـــوروا عـلى تُراثِ امـــرئ القـــيْ

ـسِ ، وصـونوا ديـاجـةَ الذُبيـانى[2]

واتركـــوا هـذه المـــعـــاولَ بـاللّـ

ـه ، فـــإنى أخـشـى على البنيـان[3]

واحـــفـظوا اللفـظَ والأســاليبَ والذو

قَ ، وهاتوا مـا شـئـتُمُ من مـعـانى

مـــا لســـانُ القـــريـضِ من عـــربي

كلســـانِ القـــريضِ مـن طُمْطُمـانى ![4]

---

(١) صناديد : السادة الشجعان الشرفاء والمقصود هنا التهكم .

(٢) تراث : ما ورثناه من مجد سالف . امرؤ القيس : شاعر جاهلى كبير أحد أصحاب المعلقات السبع . ديباجة : مقدمة والمقصود الشعر . الذبيانى : هو النابغة الذبيانى الشاعر الجاهلى العظيم وهو أيضًا أحد أصحاب المعلقات .

(٣) المعاول : جمع معول وهو الذى يستعمل فى الهدم .

(٤) لسان القريض : قول الشعر . طمطمانى : صاحب الكلام غير المفهوم .

إنّمـــا الشـــعرُ قـطعـــةٌ مـنكَ ليـــست

من دمـــــاءِ الـلاتيـن واليـــونـان[1]

كـــلُّ فـــنٍّ لـــه مـــكـــانٌ وأهـــلٌ

إن غَدا الـعلـمُ مـــــــا له مـن مكـانِ

إن رأيـتم أُخُوّةَ الـعـــــودِ لـلجـــــز

بند ، فـــابـكوا سُلالةَ الـعـــيـــدان[2]

لا يـهُزُّ الـنخـــــــــيـلَ إلاّ حَنانُ الـنـ

ـــايِ ، فى صـــــمتِ ليـلةٍ من حـنان !

وِجْهَةُ الشـــرقِ غـيـــرُها وجـهـــةُ الغـ

ـــربِ ، فـــأنّى وكـيف يلـتـقـيـــان !؟

*

أين عـهـــدُ الشبـــاب واللّهـوِ يا شـــعـ

ـــرُ ؟ وأيـن الهَوى ؟ وأين المـــغـــانى ؟

---

(١) اللاتين واليونان : يقصد كل ما هو غير عربى .

(٢) العود : هو آلة موسيقية من آلات الموسيقى الشرقية . الجازبند : آلة موسيقية غربية . سلالة : نسل .

ذُبُل الـوردُ وانقـــــضى مَوْسِمُ الـريحـ

ـانِ ، واحـــسـرتـا على الريـحـان !

وانطَوى مـجلسُ الصـحـابِ بمن فـيـ

ـه ومـا فـيـه من أمـانٍ لِدان[1]

كـان أشـهى للنفسِ من حَسْوَةِ الكأ

سِ ، وأحلَى من صـادحاتِ الأغـانى[2]

لـم تَدُرْ كـــــأسُه عـلى واغلٍ فَدْ

مٍ ، ولا واكلٍ عـن المـجـدِ وانٍ[3]

يُنثَرُ الشـعـرُ فـيـه كـالزهرِ ريّا

نَ ، بلحنٍ من الصـبـا ريّان[4]

كـان فـيـه «شـوقى» وكـان «أبو الـحـفـ

ـظِ» و «حـفـنى» وجـملةُ الإخـوان[5]

---

(١) لدان : قرية .

(٢) حسوة : امتلاء الكأس بالشراب . صادحات : المغنيات بصوت مرتفع .

(٣) واغل : مسرف فى الشراب . فدم : عيى وغبى . واكل : معتمد على الغير وانى : مقصر .

(٤) ريّان : مرتوى .

(٥) شوقى : أحمد شوقى الشاعر الكبير . أبو الحفظ : كناية عن الشاعر حافظ إبراهيم. حفنى: هو الشاعر الأديب حفنى ناصف .

و «إمـــامُ العـــبدِ» الـذى كـــان رمـــزًا

لتـــآخى المـــصْـــرىِّ والســـودانى[1]

كـــان شـــوقى يُصْغى ومـــا كـــان يُصْغى

هـو فى عـــــالَمٍ مـن الـفـنِّ ثانـى !

كـلّمـــــا مـــــدّ رأسَه يـرقُبُ الوحـــ

ـىَ ، رأيـتَ العـــينينِ تخـــتـلجـــان

ثم يُغْضى مُهـــمـــهِمًا مـــثـلـمـا جـرّ

بتَ بـالْجَسّ شـــاديـاتِ المـــشـــانى[2]

ينـظِمُ الشـعـــرَ وهو يلـقى الأحـاديـث

ـثَ ، فـــيـــأتى بـآبداتِ البـــيـــان[3]

رُوحُه فى الســـمـــاءِ ، وهو عـلى الأر

ضِ ، كـــلا العَالمَيْنِ مـــخـــتـلفـــانِ

هو شـــوقى جـــــمًا يُرَى ويُنـاجى

وهو فـى الشـــعـــرِ طـائفٌ نـورانى

---

(١) إمام العبد : أحد ظرفاء مصر وأدبائها وشعرائها وكان معاصراً للشاعر .

(٢) المثانى : العظام .

(٣) آبدات : العويص – البعيد .

شـركـــيٌّ أعـيـــا على الـعُرْبِ مأتا
هُ ، فَحـــسّانُ لـيس بـالْحـــسّان[1]

وله فـى المـــديح مـــا لم يُدانيـ
ـــه ابـنُ عَبْدانَ فـى بـنـى حَمْدان[2]

حكـمـــةٌ مَشْرِقـــيّةٌ ، فى خـيـــالٍ
فـــارسىّ ، فى مـنطـقٍ عـــندنانى

ينـثُرُ الدرَّ عـبـقـــريًّا عـجـيـــبًا
ليـس من «مَسْقَطٍ» ولا مـن «عُمـــان»[3]

أنـا بالـدرِّ أخـــبـــرُ النـاسِ لكـن
ذلـك الـنـوعُ نـدّ عـن إمـكـانـى ![4]

فـــاســـألا كـلَّ جـوهـرىّ فـإن قـــا
ل لـديهِ مِثْلٌ لـه فـــاســـألانـى[5]

---

(١) شركـى : إشارة إلى أصله من بلاد الشركس . مـأتاه : ما أتى به من البيان العربى الأصيل . حـسان : هو حـسان بن ثابت شاعر الرسول عليه الصلاة والسلام .

(٢) ابن عبدان : شاعر مدح بنى حمدان .

(٣) مسقط وعمان : إشارة إلى شهرة البلدين فى صيد اللؤلؤ .

(٤) ندّ : شرد .

(٥) جوهرى : تاجر الجواهر والأحجار الكريمة .

يا خليلى لا تَهيجا لى الذكـ

ـرَى ، فقد نالنى الذى قد كفَانِى

ناولانى بالله ديوانَ شوقى

لأراه كعهده ويرانى

ثم سيرًا على الأصابع فى صمْـ

ـتٍ ، وفى حضرةِ «الأميرِ» دعانى[1]

مَرَّةً أَلتقِى به أملدَ العـ

ـودِ نضيرَ الصبا طليقَ العنان[2]

بين راحٍ وروضةٍ وغديرٍ

وحِسانٍ ، مضَى زمانُ الحِسان![3]

ووجوهُ الآمالِ أزهَى من الزهْـ

ـرِ ، وغصنُ الشبابِ فى رَيْعان

غَزَلٌ أذهل الغوانى عن الحـ

ـنِ ، ومن أين مثلُه للغوانى ؟

---

(١) الأمير : إشارة إلى لقب الشاعر أحمد شوقى « أمير الشعراء » .

(٢) أملد : ناعم . العود : القد . طليق العنان : غير مقيد .

(٣) راح : الخمر .

حين يشدو يُصغِي له الطيرُ حيرا

نَ مغيظًا مسائلاً مَن حكانى ؟

ذاك صوتٌ به خُصِصْتُ من اللـ

ـهِ ، فمن أين جاء للإنسانِ ؟

يصِفُ الجسرَ والجزيرةُ تهتـ

ـزُّ حَواليْهِ هزَّةَ النشوان[1]

فى ثيابٍ من الطبيعة وشّا

ها كما شاء مُبدِعُ الألوان[2]

ويَرى حبّه لدولةِ عثمـ

نَ شعارًا لصادقِ الإيمان[3]

ذاك شعرُ الشبابِ والدارُ دارٌ

وأيادى «العباسِ» بيضٌ دوانى[4]

*

(٤) الجسر : المقصود جسر قصر النيل . الجزيرة : حىّ الجزيرة عنده .

(٢) وشاها : لونها ونقشها .

(٣) دولة عثمان : الدولة العثمانية لأنها دولة إسلامية .

(٤) العباس : خديوى مصر وقت شوقى . دوانى : قريبة العطاء .

ثم ألقاه وهو في الأسر يشكو

فيثير الكمين من أشجاني

ويناجي شعره «نائح الطلح

ح» فيبكيه مثلما أبكاني[1]

رُحمتْ مصرُ بالبُغاث من الطير

ر ، وعيقَ الشادى عن الطيران![2]

أسروه ليحبسوا صوتَه العا

لى ، فنادَى بصوته الخافقان[3]

احبسوا الليلَ إن قدرتم وسُدّوا

إن أردتم منافذَ البركان

ودعوا الشعرَ فهو طيرٌ من الفرْ

دوسِ يأبَى مَسيسَه بالبنان

---

(١) نائح الطلح : باكى أرض الوطن . إشارة إلى قصيدة شوقى : يا نائح الطلح أشباه عوادينا : نأسى لواديك أو تأسى لوادينا كتبها فى المنفى معارضا الشاعر ابن زيدون القائل : أضحى التنائى بديلا عن تدانينا : وناب عز طيب لقيانا تجافينا .

(٢) رحمت : ازدحمت . البغاث : الضعيف المتهافت . عيق : منع وحبس .

(٣) الخافقان : أفقا المشرق والمغرب لأن الليل والنهار يخفقان فيهما .

ثم طار الهزارُ للعُش غريبْ

عاد وعاد الغريبُ للأوطان ![1]

عاد «زرياب» بعد أن زاد أوتا

راً لأوتارِ عوده المرنان[2]

فتغنّى بمصرُ في موكبِ الشر

قِ ، وعزِّ التاجينِ والصولجان

وشدا بالشموسِ من عبدِ شمسٍ

والغطاريفِ من بنى مَرْوان[3]

ألهب العزم في بنى مصرَ ناراً

أيُّ خيرٍ في هذه النيران !

ودعا بالشبابِ فابتدروا السبْ

قَ ، وآمالُ مصرَ في الشبّان[4]

---

(١) الهزار : طائر من الطيور المغرّدة .

(٢) زرياب : مُغنّى عظيم في العصر العباسي . المرنان : الرنّان .

(٣) الشموس : الملوك . عبد شمس : قدماء المصريين . القطاريف : السادة النجباء . بنى مروان : ملوك الدولة الأموية في الأندلس .

(٤) ابتدروا : بادروا . السبق : السباق والتطلع نحو المجد .

والرواياتُ أعجزتْ كلّ شيطا

نٍ ، وأعيت فى وصفِها شيطانى[1]

حكمةُ الشَّيْبِ فى مِراس التجاربِ

بِ ، وفكرٌ أمضى شبًا من سِنان[2]

جَنتِ السِّنُّ ما جنت غير عقلٍ

زاد بالسِّنِّ صَوْلةً ولسان[3]

كلما هدّتِ الليالى قُواه

بلغ الشعرُ قِمّة العُنفوان

شعرُ شوقى وديعةُ الزمنِ البا

قى ، وشوقى وديعةُ الرحمن !

*

---

(١) الروايات : إشارة إلى روايات شوقى الشعرية . شيطان : المقصود شيطان الشعر . أعيت : أتعبت .

(٢) مراس : الممارسة والمعالجة . التجاريب : حنكة الأمور وتجربتها . أمضى : أحدّ . شبا : كل شيء حدّ طرفه . سنان : سنان الرمح .

(٣) جنت : حصلت – حصدت . السن : العمر والسنون . صولة : وثبة .

قـد شُغِلْنا عن حـافظٍ بأمـيـر الشـعـ

ـر ، ويـلى ! لو كـان يدرى لحـانى[1]

كـان يجـرى على أعنّة شـوقى

ويُعـانى من رَكْضـه مـا يُعـانى[2]

لا الجـوادانِ فـى النجـار سـواءٌ

حـيـن تبلـوهمـا ولا الـفـارسَانِ[3]

يُلْهِبُ الشـعـرَ حـافظٌ أرعنَ الـسـو

طِ ، وشـوقـى فى آخـرِ المـيـدان !

ليـت شـعـرَ القـريضِ أىُّ سِبـاق

بيـن شـعـريْهمـا ؟ وأىُّ رِهان !؟

حـافـظٌ زيّن القـريـضَ بفـنٍّ

بُحْتُرِىّ عـذبِ رشـيق المـبـانى[4]

---

(١) لحانى : لامنى .

(٢) أعنة : يد اللجام للفرس . ركضه : جريه .

(٣) النجار : الأصل . تبلوهما : تختبرها .

(٤) بحترى : نسبة إلى البحترى الشاعر العباسى العظيم .

لـفظُه فـى يديـه يخـــتـــــار منـه

صَحْفَةُ الـدرِّ فـى يَدَىْ دِهْقـــــــان[1]

ولكـم قـــد أعـــاد بـيـــتًا مـــرارًا

باحـــثًا عن فـــريدةٍ من جُمـــان[2]

يتـــقَرَّى فى الـشـعـــر مَيـل الجـمـ

ـــاهِير ، لـيحظَى بصـيحةِ استـحسان[3]

جـــال فـى حَوْمـةِ الســيـاســـة وثَّا

بًا ، فـــأذكَى حـمـــاســةَ الفِتـيـــان[4]

ورمَى الاحـــتـــــلالَ حـــرًّا جـــريئًا

وتحـــدَّى «الـعـمـيـــدَ» ثَبْتَ الْجَنانِ[5]

---

(١) صحفة الدّر : وعاء الدر . دهقان : تاجر الجواهر .

(٢) جمان : حبّات تصنع من الفضة كالدرر .

(٣) يتقرى : يختار - يسعى .

(٤) جال : طاف : حومة السياسة : معظم الميدان .

(٥) الاحتلال : الاستعمار الإنجليزى لمصر . العميد : المعتمد البريطانى الذى كان يعتبر الحاكم الفعلى لمصر حينئذ ثبت الجنان : ثابت القلب .

فـى زمـــــانٍ قـــــد ذلَّ كلُّ إبـاءٍ

فـيـــه ، وانقـاد كلُّ صـعبِ الْحِران[1]

وظَفـــوه فـــأسكتـــوه فـــألقَى

شـــعْرَهُ فـى مَهـــامِهِ النِّـــيـــان[2]

ويحَ هـذا الكِرْوانِ ! هل راقـــه الحـــب

ـسُ وأغـراه عـــجـدُ القـضـبـان ؟[3]

شمـــــوا نابَيِ «ابـن بُرْدٍ» وحـــالوا

بيـن كـــاس الطلا وبـين ابنِ هـانى ![4]

كـ شـــوقى وحـــافظٌ إن دجَى الـخط

ـبُ ، شـعـاعـيْنِ فى الدُّجَى يلمـعـان[5]

---

(١) إباء : عزة ونفسة انقاد : تبع . صعب الحران : لا ينقاد بسهولة .

(٢) مهامه : الصحراء البعيدة .

(٣) عجد : الذهب .

(٤) نابيّ . أسنان . ابن برد : الشاعر العباسى بشار بن برد ويقصد الشاعر حافظ إبراهيم . كأس الطلا : كأس الخمر . ابن هانى : الشاعر الأندلسى الكبير وكان مشهوراً بوصف الخمر .

(٥) دجى : أظلم . الدجى : الظلمة .

«فـهـمـا فى أواخـرِ الـليلِ فـجـرا

نِ ، وفـى أُوَلِيـــاتِه شَفَقَـــانِ»[1]

*

أيهـا الشـاعـرانِ قـد صَوّح الدوْ

حُ ، وولّت بشـاشـةُ البـسـتـان ![2]

وخـلا الـربْعُ لا قـراعُ كـئـوسٍ

ضـاحـكـات ، ولا رنيـن قِيَانِ ![3]

وتـولّى الـقُطّانُ لـم يـبـق إلاّ

حـسـراتٌ لفُرقـةِ القُطّان ![4]

ومـضَى الرَّكْبُ بالـرفـاقِ وخـلاّ

نِى وحـيـدًا أبكى على خُلاّنى

---

(١) شفقان : مثنى شفق وهو ضوء الشمس وحمرتها قبل الغروب .

(٢) صوّح : جف – يبس : الدوح : الشجر العظيم . ولت : ذهبت .

(٣) الربع : الحىّ – المكان . قراع : صوت كئوس الشراب عندما تتخبط . قيان : الإماء المغنيات .

(٤) القطان : المقيمون بالمكان .

أيهـــا الشـــاعـــران فى جـنّةِ الْخُلْـ

ـــدِ ، هَنَاءً بـالْخُلْدِ والـرِّضـــــــوان

مـــهِّدا لـى إلى جِوارِكـــمـــا مـثْـ

ـــوًى ، إذا آن لـلرحـــــيلِ أوانـى[1]

(١) مثوى : مكان ينام فيه .

١٣ - إلى الأستاذ الإمام

قيلت هذه القصيدة والشاعرُ طالب بالأزهر سنة ١٩٠١ م وكان يتلقى دروس البلاغة والتفسير على الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده ، فمدحه بهذه القصيدة ونحا فيها منحى الشعراء المتقدمين فى الوصف والأسلوب ، وندّ عن الذاكرة عدد غير قليل من أبياتها .

الْمَجْدُ فَوْقَ مُتُونِ الضُّمَّرِ الْقُودِ
تَطْوِى الْفَلاَ بَيْنَ إِيجَافٍ وَتَوْخِيدِ(١)
إِذَا رَمَتْ عُرْضَ صَيْهُودٍ مناسِمُهَا
رَمَتْ إِلَيْهَا اللَّيَالِى كُلَّ مَقْصُودِ(٢)

---

(١) المجد : العز والشرف . المتون : جمع متن وهو الظهر . الضمر : جمع ضامر وهو الناقة أو الجمل الذى أصابه الضمور والهزال من كثرة الأسفار . القود : جمع أقود وهو البعير الشديد العنق . الفلا : جمع فلاة وهى القفر ، أو المفازة لا ماء فيها ، وطى الفلوات اجتيازها وقطعها بالسير فيها . الإيجاف : ضرب من سير الابل والخيل . التوخيد : ضرب آخر من سير الابل . ، وهو الإسراع أو سعة الخطو ، أو أن يرمى البعير بقوائمه كمشى النعام .

(٢) عرض الشىء : ناحيته وجانبه . الصيهود : الفلاة لا ينال ماؤها ، المناسم : جمع منسم وهو خف البعير .

أَوْ مَزَّقَتْ طَيْلَسَانَ اللَّيْلِ مِنْ خَبَبٍ
كَتْ خَيَالَ الأَمَانِي ثَوْبَ مَوْجُودِ[1]

تُدْنِي مِنَ الْمَجْدِ إِنْ شَطَّ الْمَزَارُ بِهَا
فَحَبَّذَا هُوَ تَقْرِيبٌ بِتَبْعِيدِ![2]

الْمَجْدُ بالسَّيْفِ إِنْ عَزَّتْ وَسَائِلُهُ
لاَ يُغْمِدُ الْحَقَّ سَيْفٌ غَيْرُ مَغْمُودِ

فَكَمْ شَقَقْتُ فُؤَادَ الْبِيدِ مُنْصَلِتًا
مَنْ يَطْلُبِ الْمَجْدَ لاَ يَبْخَلْ بِمَجْهُودِ

تَرْمِي التَّنُوفَةُ بِي أُخْرَى بِجَانِبِهَا
وَأَقْطَعُ الْبِيدَ بَعْدَ الْجَهْدِ لِلْبِيدِ![3]

---

(١) الطيلسان : من لباس العجم كساء مدور كان يلبسه الخواص من العلماء . الخبب : ضرب من العدو ، أو كالرمل ، أو أن ينقل الفرس أيامنه جميعاً وأياسره جميعا ، أو أن يراوح بين يديه ، أو هو السرعة .

(٢) تدنى : تقرب . شطّ : بعد . المزار : الزيارة .

(٣) التنوفة : المفازة ، أو الأرض الواسعة البعيدة الأطراف . أو الفلاة لا ماء بها ولا أنيس .

كَأَنَّنِى الْكَأْسُ بَيْنَ الشَّـــــرْبِ مُتْرَعَةٌ
يُدِيرُهَا الْقَوْمُ مِنْ بِنْتِ الْعَنَاقِيـــــدِ[1]
فِى كُلِّ يَهْمَاءَ لَـم يَعْبُرْ مَنَاكِبَهَـــــا
طَيْفٌ مِـنَ الـجِنِّ إلاَّ خَـافَ أَنْ يُـودِى[2]
لا يُرْسِلُ الطَّرْفُ فِى مَيْدَانِهَـــــا قَدَمًا
إلاَّ بِزَجْـرٍ وَإِيعَـــــادٍ وَتَهْـدِيدِ[3]
إِذا بَدَا الْفَجْـــرُ ظَنَّتْـــهُ ضَرَاغِمُـــهَا
سَيْفًا فَكَـــرَّتْ إِلَيْهِ كَـــرَّ صِنْدِيـــدِ
وَأَقْبَلَـــتْ لِغَدِيـــرِ الْمَاءِ وَاثِبَـــةً
تَظُنُّهُ لأْمَـــةً مِـــنْ نَسْـــجِ دَاوُدِ[4]
فَكُنْتُ بَيْنَ مَـــرُوعِ الْقَلْـــبِ مُرْتَجِـــفٍ
كَأَنَّنِى صَـــارِمٌ فِى كَـــفِّ رِعْـــدِيدِ[5]

---

(١) الشرب : جمع شارب . مترعة : مملوءة . بنت العناقيد : كناية عن الخمر .
(٢) اليهماء: الفلاة لا يهتدى فيها . المناكب هنا: الأنحاء . يودى: مضارع أودى أى هلك .
(٣) الطرف : الفرس الكريم . الإيعاد : الوعيد لا يكون إلا فى الشر .
(٤) اللأمة : الدروع وقد اشتهر نبى الله داود عليه السلام بصنع الدروع .
(٥) الروع : الفزع ، مروع القلب : خائف فزع . مرتجف : مضطرب . الصارم : السيف القاطع .

أَطْوِي الدُّجَى فَإِذَا مـا الْيَأْسُ أَدْرَكَنِـي ١٤٩
وَقَلَّ عَـزْمِي بِسَيْفٍ مِنْهُ مَـحْـدُودِ[١]
ذَكَـرْتُ عَزْمًا مِـنَ الأُسْتَاذِ فَاتَّجَهَـتْ
عَزِيمَـتِي بَيْنَ إِقْدَامٍ وَتَسْدِيدِ[٢]
وَسِرْتُ مِثْـلَ قَضَـاءِ اللهِ لَيْـسَ لَـهُ
نَقْـضٌ وَلا سَهْمُـهُ يَوْمًا بِمَـرْدُودِ
مَوْلاَيَ عَلَّمْتَنِـي كَيْـفَ الثَّبَاتُ إِذَا
لَمْ يَتْرُكِ الرُّعْبُ قَلْبًا غَيْرَ مَـزْعُودِ[٣]
عَلَـوْتَ فَازْدَدْتَ بَيْنَ النَّاسِ مَعْرِفَـةً
وَالنَّجْمُ يَعْلُو فَيَبْدُو شِبْهَ مَفْقُـودِ !
وَأَصْبَـحَ الـدِّيـنُ تَيَّاهًا بِنَاصِـرِهِ
وَالضَّـادُ تَزْهَى بِتَجْمِيلٍ وَتَجْلِيدِ
دَعِ الْحَسُـودَ ، أَمَا يَكْفِيكَ أَنَّ لَـهُ
نَفْسًا تَفُـورُ ، وَحَظًّا غَيْرَ مَجْـدُودِ؟[٤]

*

(١) الدجى : جمع دجية وهى الظلمة . فله : ثلمه وكسره . محدود : مسنون قاطع .
(٢) التسديد : التوفيق للسداد وهو الصواب والقصد من القول والعمل .
(٣) المزعود : المذعور الخائف .
(٤) فارت القدر: جاشت وغلت غير مجدود : غير سعيد

يا فـــارِسَ الشـــعْرِ لا تَجْـزَعْ لِنَازِلَةٍ

إِذَا دَعَـوْتَ إِلَيْهَا فَـــارِسَ الْجُـــودِ[1]

فَنَظْرَةٌ مِنْهُ لَوْ مَسَّـــــتْ ظَلامَ دُجَـــىً

مـــــا زُمِّلَ اللَّيْلُ فـى أَثْوابِهِ الـسُّودِ[2]

---

(١) يريد بفارس الشعر نفسه . الجزع : ضد الصبر . النازلة : الكارثة والشديدة من شدائد الدهر . الجود : السخاء .

(٢) زمله فى ثوبه : لفه .

١٤ - الشيخُ الغَـزِل

عام ١٩٢٤ م

لـنا شـــــيخٌ تولّى أطيَـــــاه
يـهـــيمُ بـحُبِّ ربّاتِ الـقـــــدودِ[١]
يـغـــــازِلُ مـنْ قـــــيـــــامٍ
وإن صـلّى يُصَلّى مـن قُعـــــودِ![٢]

---

(١) تولى : ذهب . أطياه : الشباب وسعة العيش .

(٢) قعود : جلوس .

١٥ - ليلة وليلى

١٩١٧ م

وَلَيْلَةٍ حَالِكَةِ الْجِلْبَابِ
أَغْطَشَ مِنْ خَافِيَةِ الْغُرَابِ[١]
كَأَنَّهَا صَحِيفَةُ الْمُغْتَابِ
أَوْ حَظُّ مَحْدُودٍ مِنَ الْكُتَّابِ[٢]
أَوْ غَمَرَاتُ الزَّاخِرِ الْخِضَمِّ[٣]
وَقَفْتُ فِيهَا وِقْفَةَ الْمُلْتَاحِ
أَسَائِلُ النَّجْمَ عَنِ الصَّبَاحِ[٤]

---

(١) أغطش : أظلم . وخافية الغراب : واحدة الخوافي وهي ريشات إذا ضم الطائر جناحيه خفيت ، أو هي الأربع اللواتي بعد المناكب ، أو هي سبع ريشات بعد السبع المقدمات ، أو هي ما دون الريشات العشر من مقدم الجناح .

(٢) المغتاب : الذي يذكر غيره بما يكره .

(٣) الغمرات: جمع غمرة وهي كثرة الماء. الزاخر: الطامي الممتلئ . الخضم: البحر

(٤) الملتاح : المتحير من هم أو سفر أو نحوهما .

فَقَـــالَ سَـــلْ عَـــنْهُ عَتِيـقَ الـــرَّاحِ
أَوْ وَجَـــنَاتِ الْخُـــرَّدِ الْمِـــلاَحِ[1]
فَلَيْسَ لِـــي بِشَأْنِـــهِ مِـــنْ عِلْـــمِ
إِنِّي رَأَيْـــتُ الْعُـــرُبَ الْحِسَـــانَا
يَصْبَغْـــنَ مِنْـــهُ الْخَـــدَّ وَالْبَـــنَانَا[2]
وَرَاهِـــبًا ، أَظُنُّـــهُ قُـــلاَنَا
أَحْضَـــرَ بِالأَمْسِ هُنَـــا دِنَانَا[3]
وَرَاحَ وَهْـــيَ مُفْعَـــمَاتٌ تَهْمِـــي[4]
يَا سَـــارِقَـــاتِ الـــصُّبْحِ طَـــالَ لَيْلِي !
فَدَيْتُكُـــنَّ بَعْـــضَ هَـــذَا الـــذُّلِّ !
هَلْ جَـــارَ فِي دِينِ الْغَـــرَامِ ذُلِّي ؟
مَـــنْ لِـــي بِأَنْ أَلْقَى الـــصَّبَاحَ مَنْ لِي ؟
بِالـــلَّمْحِ أَوْ بِالـــلَّمْسِ أَوْ بِالـــلَّثْمِ

---

(١) العتيق : القديم . الراح : الخمر . الخرّد : جمع خريدة وهى البكر لم تمس ، أو الخفرة الطويلة السكوت الخافضة الصوت المستترة .

(٢) العرب : جمع عروب وهى المرأة الضاحكة المتغزلة .

(٣) الراهب : عابد النصارى . الدنان : جمع دن وهو وعاء للخمر .

(٤) راح : رجع . مفعمات : مملوءات . تهمى : تسيل .

فِيـــكُنَّ ذاتُ حَسَـــبٍ ودِيـــنِ

مُشْرِقَـــةُ الـطَّلْعَـــةِ وَالْجَبِـــينِ

كَأَنَّهـــا إِحْـدَى الـظِّبَـــاءِ الْعِيـنِ

مَنْ عـــاذِرِى فِيـــهَا ، وَمَنْ مُعِينِى ؟[1]

عِيـلَ بِهَا صَبْـرِى وَطَـــاشَ حِلْمِـى[2]

عَلِقْتُـــهَا صَـــــــامِتَةَ الْحَجْـلَيْنِ

أَنْصَـــعَ مِـــنْ سَبِيـكَةِ الـلُّجَيْنِ[3]

حَوْرَاءَ مِـلءَ الْقَلْـبِ ، مِـــلءَ الْعَـيْنِ

كَأَنَّهـــا الـلَّقْـــاءُ بَعْـدَ الْبَيْـنِ[4]

أَوْ عَـــوْدَةُ الشِـفَـــاءِ بَعْـدَ السُّقْـمِ

حَدِيـــثُهَا سُلافَةُ الـــنَّدِيـــمِ

وَخُلْقَـــــــــهَا تَواضُـعُ الْيَتِيـمِ[5]

---

(١) العين : جمع عيناء وهى الحسنة والواسعة العينين الواسعتهما .

(٢) عيل صبرى : غلب . الحلم : الأناة والعقل .

(٣) علقتها : هويتها وأحببتها . الحجل : الخلخال، وصامته الخلخالين أى لا يسمع لهما حس ، وذلك كناية عن امتلاء ساقيها . اللجين : الفضة .

(٤) حوراء : صفة من الحور وهو شدة بياض العين فى شدة سوادها . البين : الفراق .

(٥) السلافة : الخمر . النديم : من يناديك أى يجالسك على الشراب .

فَدَيْتُهَـــا مِـــنْ مَلَـــكٍ كَـــرِيـــمِ !

تَعْـــرِفُ فِيـــــهَا نَضْـــرَةَ النَّعِيم

أَنْقَـى وأَصْفَـى مِـنْ نِطَـافِ الغَيْـمِ[1]

أَبْرَزْتُهَـــــــا يَـوْمًا فَقُلْـتَ وَاهًـــا !

قُتِلْـــتُ إِنْ شَبَّـــتْ فِـــى سِـــوَاهَا !

كَأَنَّهَا ، والْحُسْـــنُ قَـــدْ جَـــلاَّهَا

لُـــؤْلُـــؤَةٌ ، تَبْهَـــرُ مَـــنْ رَآهَا[2]

أَلْقَى بِهَـــــا الْغَـوَّاصُ قُـــرْبَ الْيَـــمِّ

لَيْلاَىَ يا مَـــضِـــيـــئَـــةِ اللَّيْلاَتِ !

يـا مَلَكَ الـرَّحْمَـــةِ والـنَّجَـــــاةِ !

عَرَفْتُ مِنْـكِ كَـــرَمَ الـصِّفَـــــات

وَقَـــيِّـــمَةَ الْحَـيَاةِ فِـى الْحَـيَاةِ

إِنْ كَـــانَ لِى نَعْـــمٌ فَأَنْـــتِ نُعْمِى[3]

---

(١) النطاف : جمع نطفة وهى الماء الصافى . الغيم : السحاب .

(٢) جلاها : كشفها وأوضحها . تبهر : تغلب بحسنها .

(٣) نعم : اسم فتاة شبب بها عمر بن أبى ربيعة .

١٦ - عبد العزيز جاويش

يرثى الشاعر فى هذه القصيدة أستاذه وصديقه الشيخ «عبد العزيز جاويش» . وقد توفى فى يناير ١٩٢٩ م .

دُمـــوعُ عُيـــونٍ أم دِمـــاءُ قُلوبِ
على راحلٍ نـائى المَزَارِ قـــريبِ ؟[١]

نعـــاه لـنا الـناعِى فـــأفْزَعَ مِثْلَمـــا
تُراعُ بِصَوْتٍ فـى الـظـلامِ رهـيـب

فـقـلنا أبِنْ - رُحْمـــاكَ - طارتْ عُقُولُنا
فلـم نســـتَمِعْ مـن فِيكَ غَيْرَ نَعِيـب[٢]

شكـكنا ، وكـــان الشكُّ أمْنًا وراحـــةً
وكَم مـن يقـــينٍ فى الحـــيـــاة مُرِيب

حَـنانَكَ ، إنّا أُمّةٌ هَدَّ ركـنَهـــــــا
صِراعُ لِيـــــالٍ ، واصـطلاحُ خُطُوبِ[٣]

---

(١) نائى المزار : بعيد مكان الزيارة .

(٢) النعيب : صوت الغراب ، وهو مما يتشاءم به ويتبرم بسماعه .

(٣) اصطلاح الخطوب : تتابعها .

إذا كَشَفَتْ عنهـا القـمـيصَ بدتْ بهـا

نُدُوبٌ لـطعـنِ الـدهرِ فـــوق نُدُوبِ

وإنْ أرسـلـتْ فـــي ذِمَّةِ اللهِ عَبْرَةً

على ابـن سُرَى حـامى الذِّمـارِ وثُوبِ[1]

دَهَتْهـا الـليـالى فـى سـواه ، ولا أرَى

شَعُوبًا لـهـــذا الـنـاس مِثْلَ شَعُوبِ[2]

تَدَاوَى مـن الإعْوالِ بـالـبـثِّ والـبُكـا

وتَشْفِى لَهِيـبًا للـجـوَى بلـهـيـبِ[3]

وتمـنـحَ دمـعًا كى تجـودَ بِمِـثْلِهِ

وتَنْسَى أريبًا بـادُكـــارِ أريـبِ[4]

فـيـأيُّهـا الناعِى ، إذا قُلْتَ فـاتَّئِدْ

فـمـا مُخطئٌ فى قـولِه كـمُصـيبِ

---

(١) الذمار : ما يلزمك حفظه والدفاع عنه .

(٢) شعوبا : مصدعًا ومفرقا ، شعوب : الموت .

(٣) البث : الحزن . الجوى : حرقته .

(٤) الأريب : ذو العقل والدهاء . الادكار : الذكر .

حَنَانَكَ ، قُلْ مـا شـئتَ إلاّ فَجيـعـةً

بفـقـدِ كـريمٍ أوْ فِراقِ حَبـيـب

فـقال : قَضَى ، قُلْنا : قَضَى حـاجـةَ العُلا

فـقـال : مَضَى ، قُلنا : بغيـر ضَرِيب[1]

فـهـزَّ اعـتـلاجُ الْحُزنِ أضـلاعَ صَدْرِهِ

وأخْفَى نَشـيـجًا تحتَ طيِّ نـحِيب[2]

وقـال : قـضَى عـبدُ العـزيزِ ولم يكُنْ

نصـيبُ امـرئٍ فى الرُّزْءِ فـوقَ نَصـيبى

فـواحـسـرتا ! مـات الإمـامُ ولم تكُنْ

نِهـايـةُ هذى الشـمسِ غـيـرَ مَغِيب

وغـاض مَعِينٌ كـان ريًّا ورحـمـةً

وكلُّ مَعـيـنٍ صـائـرٌ لنُضُوبِ ![3]

---

(١) قضى : «الأولى» مات . قضى (الثانية) : أنجز وأتم . الضرايب : النظير والمثل .

(٢) اعتلاج الحزن : اضطرابه وثورانه . النشيج : البكاء يغص به الحلق . النحيب : أشد البكاء .

(٣) غاض المعين : ذهب ماؤه . الرى : الارتواء . النضوب : الجفاف .

فَمَنْ لِكتـــــــــــاب اللهِ يلـمَحُ نُورَهُ

بعـــينٍ بصـيـــرٍ بالبَيَـــانِ لبـــيب ؟

ومَنْ يدفَعُ الـعـــادِى على دينِ أحْمـــدٍ

بـعـــــزم كَمَسْنُونِ الْحِرابِ صَلِيب ؟[1]

وقـــد كُنْتَ يا عـــبـــدَ العـــزيزِ إذا دَجَت

وقـــد قـــيل «أمّا بَعْدُ» خـيـــرَ خَطِيب[2]

*

سَـفـــيَ مَن عَانى الـحـــيـــاةَ مُشَرَّدًا

يَجُوبُ مـن الآفـــــــــاقِ كُلَّ مَجُوب[3]

غـــريبًا ـاضـــاه الليـــالى حُشَـاشـــةً

ولكِنّه للفـــضلِ غـــيـــرُ غـــريب[4]

---

(١) صليب : قوى لا يلين .

(٢) دجت : أظلمت ، ويريد بالإظلام أوقات الشدة .

(٣) بنفسى : أفدى بنفسى . المجوب : المعمور من البلاد ، الذى يجوبه الناس ، يرحلون إليه .

(٤) تقاضاه : تتقاضاه . الحشاشة : الفؤاد .

يـطوفُ بـأقطـارِ البـــــلادِ كـــــأنـه
خـــيـــالٌ مُلِمٌّ ، أو خـــيـــــالُ أديبِ
ويطـوى وراء البِشْرِ نـفـــــسًا جَرِيحـــةً
وأعـــشـــارَ قلـبٍ بالهُمـــومِ خَضِيب[1]
أيشكو لـئـــيـــمُ القـــــومِ كَظَّ وبطْنَةً
ويَشْكو فـتـى الفـتـيـــانِ مسَّ سُغُوبِ ؟[2]
لأمـــــر غـــدا مـــــا حَوْلَ مـكةَ مُقْفِرًا
جَدِيبًا ، وبـاقى الأرضِ غـــيـــرُ جَدِيب

*

تُقَتِّلـنُا الأيامُ وهْىَ حـــيـــــــاتُنـا
وتُعطى ، ومـــا أبْصـــرْتُ غـــيْرَ سَلِيب[3]
فـــمـــا حِيلتى إنْ كـــان بـالمـــاء غُصَّتى
ودائى إذا عَزَّ الـدواءُ طبـــيـــــبى ؟[4]

---

(١) الأعشار : الأجزاء . خضيب : مخضوب .

(٢) الكظ والبطنة : امتلاء البطن . السغوب : الجوع مع التعب . مس سغوب : ما يشعر الإنسان به من ألم الجوع .

(٣) السليب : المسلوب .

(٤) الغصة : ما تشعر به عند اعتراض شيء فى الحلق ، عز : امتنع .

كـــأنَّ حِبـــالَ الشـــمسِ كِفَّةُ حـــابِلٍ
تُحـــيطُ بنـا من شـــمـــألٍ وجَنوب[1]

نَروحُ بهـــا ، والمـوتُ ظـمـآنُ ســاغبٌ
يـلاحـــظُنـا فـــي جَيْئَةٍ وذُهـــوب[2]

عـلى الـشَّفَقِ الـمُحْمـــــرِّ مِنْ فَتكـاتِهِ
بَقـــايَا دَمٍ للذاهـبـــينَ صَبَـــيب[3]

ـل الدَّهْرُ إلاّ لـيـلةٌ طـال سُهـــدُهـا
تَنَفَّسُ عـــن يـــومٍ أَحَمَّ عَصِيـــب ؟[4]

ولـــ ـــس تـــرابُ الأرضِ غَيْرَ تَرائـــبٍ
وغـــيـــرَ عُقـــولٍ حُطِّمـتْ وقُلوبِ ![5]

سَلْوا وَحشاتِ الغِيـــــدِ فى ذِمَّةِ الثَّرَى
أتُزْهَى بـحـــــــنٍ أَمْ تُدِلُّ بـطِيب ؟

وكـــانت شِبَاكًا للعُيـونِ فـأصـبـحتْ
ولـستَ تَرى فـــيـــهنَّ غَيْرَ شُحُوب

---

(١) الحابل : الصائد ، كفته : حباله التى يصيد بها .
(٢) الساغب : الجائع . (٣) صبيب : منصب .
(٤) السهد : الأرق وعدم النوم ، تنفس : تنكشف وتسفر . الأحم : الشديد السواد .
(٥) الترائب : عظام الصدر .

١٧ - ثقيـــل !!

عام ١٩٣٠ م

تَبًّا لـــه مـن ثـقـــــــــيـــلٍ
دَمًا ورُوحًا وطِيـــــــنـــــــةْ !
لـو كـــــــان مـن قـــــوم نُوحٍ
لـمَـا ركِبْتُ الـــــــفـــــينـة[1]

---

(١) السفينة : يقصد بها سفينة سيدنا نوح كما جاء ذكرها فى القرآن الكريم .

١٨ - هجـــاء ...

عام ١٩٠٦ م

إنْ نَبـــــــا خَدُّكَ المُصَعَّرُ عنّى
مُذْ نَبـــــا هَجْـوِىَ المبَرِّحُ عَنْكَا[١]

فـبـجـهلٍ قـابلتَ مـا كـان منّى
وبحلمٍ قـابلتُ مـا كـان منكا

ولو اسـتطعتُ لابتـدعتُ كُفُـوفًا
مـن هجـاءٍ ، تَصُكُّ وجهَكَ صكّا[٢]

ولـفكّكْتُ مـن أسـاريرِكَ الكِبْـ
ـرَ بقـولٍ من وَخْزَةِ المـوتِ أنكَى[٣]

إنّنـا مَعْشَرٌ نَرى الـذلَّ فـىْ الـو
دِّ لغـيرِ اللهِ المـهـيـمنِ شِرْكـا[٤]

قـد رأينا فى المـالِ والذلُّ فَقْرًا
ورأينـا فى الـعِزِّ والفـقـر مُلْكـا

---

(١) نبا: تجافى وبعد . المصعر: مائل كبرا . هجوى: هجاء - ضد المدح . المبرّح: الشديد.
(٢) تصك : تضرب . (٣) وخزة الموت : طعنة مميته . أنكى أصعب.
(٤) المهيمن : المتصرف فى الأمور . شريكا : أى تجعل منه شريكا وهو كفر .

١٩ - إلى أنطون الجميّـل

بعث الشاعر بهذين البيتين إلى صديقه الأستاذ أنطون الجميل رئيس تحرير جريدة الأهرام وعضو مجمع اللغة بمناسبة حصوله على رتبة الباشوية عام ١٩٤٦ م .

حـــيـنـمـــا نِلتَ آبداتِ الـمـعـــالى

وشـــفَيْنا المُنَى وكـــانَتْ عِطَاشَا[1]

قـــال لى الشـــعـــرُ : قمْ وســـجِّلْ وأرِّخْ

أىُّ بُشْرَى ! غـــدا الجـمـــيلُ باشـــا

١١ ٥١٢ ١٠٠٥ ١١٤ ٣٠٤

١٩٤٦

---

(١) آبدات : خالدات . شفينا : سقينا .

٢٠ - جورجى زيدان

أحد مؤسسى «دار الهلال» كان أديبًا بارعًا وروائيًا لامعًا قرأ له الشاعر منذ نعومة أظفاره ، فنظم من أجله هذه الأبيات ، تقديرًا وعرفانًا عام ١٩٤٦ م :

رُدَّا شَبَابِى ، وَرُدَّا عهدَ زيدانِ

ومِنْ روائعِ ما أملاهُ زيدانى

قرأتهُ ورياضُ العُمْرِ وارفةٌ

فكانَ منهُ ومن سِنِّى شبابَانِ![1]

فى ضوءِ خافقةٍ فى الريف شعلتها

كالسِّرِّ ما بينَ إعلانٍ وكِتْمَانِ[2]

بدت بها زُمَرُ الأبطالِ ماثلةً

تطوى القرونَ لألقاها وتلقانى[3]

---

(١) وارفة : ممتدة الظل .

(٢) خافقة : مضطربة متحركة والمقصود هو مصباح الجاز الذى كان يستعمل فى الأرياف للإنارة .

(٣) زمر : جماعات .

من كلِّ ما شَادَ للإسلام مملكةً
أبقى على الدهرِ من رضوى وثهْلانِ[1]

للعرب «بالضادِ» إيمانٌ يوحّدهم
كانُوا لعدنانِ أو كانُوا لغسّانِ[2]

ما خطّ «زيدانُ» أسطاراً على صحفٍ
لكن جلا صُوَرًا من صُنْعِ فَنّانِ[3]

قد كانَ أوّل مرتادٍ لأمته
والخلدُ فى هذه الدنيا لَهُ ثانِى[4]

---

(١) رضوى : جبل رضوى الشهير بالحجاز . ثهلان : جبل مشهور أيضاً .

(٢) الضاد : اللغة العربية . عدنان: أبو العرب المسلمة. غسان: أبو العرب المسيحيين.

(٣) جلا : أوضح .

(٤) مرتاد : نافع – رائد .

٢١ - ضنّ الشعر بالمديح

عام ١٩٤٥ م

قـد قـرأنا الحـيـاةَ سَطْرًا فـسطرًا
وشـهِدْنا صـروفَهـا الوانًا[١]
ورأينا المِقْدامَ يسـمـو إلى المعـ
ـزّ ولا يرتضـى النجـومَ مكانا[٢]
ولمـحنا بجـانبـيـه أُناسًا
قُتِلوا ذِلّةً ومـاتوا هـوانا
إنّمـا المَنْصِبُ الكريمُ بمن فـيـ
ـه ، وليس القَنَاةُ إلاّ سِنانا[٣]
قـد حـبَسْنا المـديحَ عن كلِّ مُسْتـ
ـمٍ ، وأجْدِرْ بشـعـرنا انْ يُصـانا[٤]

---

(١) صروفها : أحداثها .
(٢) يسمو : يعلو ويرتفع .
(٣) القناة : الرماح . سنانا : سنان الرمح .
(٤) حبسنا المديح : منعنا الثناء . مستام : الذليل المهان .

لا تَزينُ العقودُ جِيداً إذا لم
يَكُ ، بالحسن قبلَها مُزدانا
رُبَّ دُرٍّ لاقَى من النحر دُرّاً
وجُمانٍ فى النَّحْرِ لاقى جُمَانَا [1]
لو مدحنا من لا يَحِقُّ له المد
حُ لوَى الشعرُ رأسه فهجانا
الرسولُ الكريمُ أنطق حَسّا
نًا ، ولولاه لم يكُن حَسّانا [2]
وابنُ حَمْدانَ لقَّنَ المتنبِّى
غُرَرَ المدحِ فى بنى حَمْدانا [3]
يصدُق الشعرُ حينما يصدُق النا
سُ فيشدو بمدحِهم نَشْوانا [4]

---

(١) در : لؤلؤى ثمين . جمان : حبّة من الفضة .

(٢) حسان : حسان بن ثابت شاعر الرسول عليه الصلاة والسلام .

(٣) ابن حمدان : سيف الدولة الحمدانى . المتنبى : أبو الطيب أحمد المتنبى الشاعر العربى العظيم . غرر : جمع غرة ، أوائل .

(٤) نشوانا : فرحا .

وإذا عـــــــــزّتِ الـمـكـارمُ ولّى

مُطرِقَ الـرأسِ واجـــــــــمًا خزيـانـا

ومـــضَى يـشـــتكى الـزمـــانَ ويـبكى

داوســـــاتِ الطُلـولِ والأظعـــــانـا[1]

فـــــإذا شـــــئتَ أن أكـــــونَ زُهَيْرًا

فـــــــأعنّى وهـاتِ لـى ابنَ سِنـانـا[2]

---

(١) داوسات الطلول : بقايا الأطلال . الأظعان : المسافرات .

(٢) زهيرا : هو زهير بن أبى سلمى الشاعر الجاهلى العظيم مدح هرم بن سنان لكرمه وفضله ومروءته .

٢٢ - غـزل شاعـرين

قام الشاعر فى هذه القصيدة بتشطير قصيدة للشاعر إسماعيل صبرى فى عام ١٩٠١ م :

(يا لواءَ الـحـسنِ أحـزابَ الـهـوى)

أجّجـوا فى الحب نـيـران الجـفَاء[١]

مـذ رأوْا طَرفَكِ يـبـدو نـاعـسًا

(أيقـظوا الـفـتنةَ فـى ظلِّ الـلواء)[٢]

(فـرّقـت أهواءهـم ثـاراتُهـم)

كـلُّ حُبٍّ بـيـن أشـواك عِداء

جـمـعـوا بغـضـاءَهم فـافـتـرقـوا

(فـاجـمـعى الأمـرَ وصـونى الأبرياء)

(إن هذا الـحـسنَ كـالمـاء الذى)

راق حـتى كـاد يخـفـيـه الصـفـاء

---

(١) لواء : علم . أحزاب : أصحاب . أججوا : زادوا إشعالا .

(٢) طرفك : جفنك .

والرضـــــابُ الْحلُو لو جـــــدتِ بـه

(فـــيـــه للأنـفس رِىٌّ وشـفـــاء)[1]

(لا تـذودى بعـــــــضنا عـن وِردِه)

كلُّنـا يشـكو الجـــــوى والبُرَحـــــاء[2]

فـــانظرى ، ليـس الصـدَى فـى بعـضنا

(دون بعضٍ واعـــدلى بـين الظمـــاء)[3]

(وتجـلَّىْ واجـــعـلى قـــومَ الهـــوى)

للـهـــوى فـــيك وللـحـــسن فـــداء[4]

هـم فـــــــداءٌ لـك ، لا ، بل كـلُّ مَن

(تحت عـرش الشمسِ فى الحكم سـواء)

(أقـــبلى نـــســتـقـــبل الدنيـــا ومـــا)

يمـــلأ الأعـــيـــنَ حـــــسنًا ورُوَاء[5]

---

(١) الرضاب : الريق . رىٌّ : ارتواء .

(٢) وِرده : منهله . البرحاء : الحمى .

(٣) الصدى : العطش .

(٤) تجلى : اظهرى وانكشفى .

(٥) رواء : المنظر الجميل .

أنت كـــــــــالجنَّة ضُمِّنت الذى

(ضُمِّنتـــــه من مـــــعـــدّات الهناء)

(واســـفرى تـلك حُلَى مـــا خُلقت)

لســـــوى لـثم وضَمٍ واجـــتـــلاء[1]

مـــــــــــــا رأينـا آيـــةَ الله أنـت

(لتُوارَى بـلثـــــام وخـــبـــاء)[2]

(واخطِرى بـينَ الـندامَى يـحلـفـــوا)

أنك الـغـــصن ازدهاراً واســـتـــواء[3]

أخـــبـــرتـهم نفـــحـبـةٌ مـنك سَرَتْ

(أن روضـــا راح فى الـنادى وجـــاء)

(وانطـقِى ينـشـــرْ إذَا حـــدّثتنا)

لـفظُك الـعـــذبُ عن الـقلبِ العـنَاء

إنـه الـدرُّ ، فـــــهـل يـمـنحـنا

(ناثرُ الدر عـلـينا مـــا نشـــاء ؟)

---

(١) اسفرى : اكشفى عن حسنك . حُلىّ : زينة وجمال .

(٢) لتوارى : لتخفى . لثام : نقاب . خباء : ساتر .

(٣) اخطرى : امشى متبخترة : الندامى : الشاربين . استواء : اعتدال .

(وابســـمِي من كـــان هذا ثـغـــره)

فـــــتن الزهـرَ أريجًا وبـهـــــاء[1]

فـدعـــيـه يـنشـر الـطِّيبَ كـمـــا

(يمـــلأُ الدنيـــا ابتـــسامًا وازدهاءْ)

(لا تـخـــــافـي شـططًا مـن أنفـس)

داولـت بيـن خـــضـــــوع وإبـاء[2]

إنْ أجـــابـت دعـــوة الحبِّ مـــشت

(تَعثُرُ الصـبـوةُ فـيـهـا بالحـيـاء)[3]

(راضت الـنخـــوةُ مـن أخـــلاقـنا)

فـخـضـعنا وجـمـحـنا كـرمَاء[4]

وسـمـت فـوق الهـــوى أحـــبابُنا

(وارتـضَى آدابَنـا صـــــدقُ الـولاء)

---

(١) أريجا : رائحة الطيب الفواحة .

(٢) شططا : خروجا عن المألوف . داولت : دارت وتداولت مرة ومرة .

(٣) تعثر : تسقط وتزل . الصبوة : رقة الشوق .

(٤) راضت : طوعت . النخوة : الكبر والعظمة . جمحنا : شردنا .

(فلو امتدت أمانينا إلى)

أسدٍ مالاث كفًّا بدماء[1]

أو سرت أنفاسُنا في جانبيْ

(مَلَكٍ ما كدّرت ذاك الصفاء)

(أنتِ يَمُّ الحسن فيه ازدحمتْ)

زُمَرُ العشّاقِ كُل بسقاء[2]

أنقذتهم بعد يأسٍ مُغرِقٍ

(سفُن الآمال يُزجيها الرجَاءْ)[3]

(يقذف الشوق بها في مائجٍ)

ماله من ساحلٍ إلاّ اللّقَاء[4]

فهي تجري والجوى يبعثُها

(بين لَجّيْنِ عناء وشقاء)[5]

---

(١) مالاث : ما لطّخ وكدّر .

(٢) يم : ماء . زمر : جماعات . بسقاء : ما يسقى به .

(٣) يزجيها : يدفعها ويسيرها .

(٤) مائج . مضطرب الموج .

(٥) لَجّين : موجتين عاتيتين .

(شـــدةٌ تمـــضي وتـأتي شـــدَّة)

واعـــتـــداءٌ لـلـهـــوى بعـــد اعـــتـــدَاءْ

لـو علـمـت لـلـنـجـم نفـــــسي لانـتـْ

(تقـتـفـيـها شـدَةٌ ، هل من رَخـاء ؟)[1]

(ســاعـفي آمـــالَ أنـضـــاءِ الهـــوى)

يـقـــــتـل الـداء إذا عـــــزّ الـدواء[2]

وتـكـشـفي حُجْبَ النـوى يتـعـشـوا

(بقـبـــول من ســجـــاياك رُخـــاء)

(أنـتِ رُوحـــــــــانـيَّةٌ لا تـدّعـى)

غـيـرَهـا ، فـالأمـرُ كـالـصـبح جـلاء[3]

فـــــاســـــألـي المِرآةَ هـل يومًا رأت

(أنَّ هذا الـشـكـلَ من طـيـنٍ ومـــاء ؟)

---

(١) تقتفيها : تتبعها .

(٢) ساعفي : ساعدي . أنضاء : رقة .

(٣) روحانية : كالملائكة .

(وانزِعى عـن جـــــمِك الثـوب يَبِن)

رُبَّ حـق ضـــــــاع فى ثـوب ريـاء[1]

وارفـــــــعى شَعْرَك عـنـه يـنجـلـى

(للـمـــلا تـكوينُ سكانِ السَّمـــاء)

(وآرِى الـدنيـــــــا جَنـاحَىْ مَلَكٍ)

منـهـمـــا تســـتـــمنح الـنورَ ذُكَاء[2]

نُشِرا فى مُجـــتَلَى ضـــوء الضـــحـــا

(خلقَ تمـثـالٍ مـصـــوغٍ من ضِيـاء)[3]

---

(١) وانزعى : اخلعى أو خفّفى . رياء : ادعاء كذب ومعالىْ .

(٢) ذكاء : الشمس .

(٣) مجتلى : ظهور . مصوغ : مصنوع .

٢٣ - صدى أنات حائرة

بعث الشاعر بهذه القصيدة إلى الأستاذ عزيز أباظة عام ١٩٩٤ م عندما أهدى إليه «أنّات حائرة» وهى طائفة من الشعر الحزين فى رثاء زوجه :

رَحْمَتًا للجريحِ من أنّاتِهْ

ولسَمْعِ الوسادِ من آهاتِهْ !

غَرّبَتْ شمسُه فقام يناجى

ساهداتِ النجومِ فى لَيْلاته[1]

إنّها بينهُنّ تسمَعُ نجْوا

هُ ، وتبكى لِبثّه وشكاته[2]

أرسلَتْ من شعاعِها ذِكْرَياتٍ

هاجتِ الكامناتِ من ذِكْرَياتِه

ولها فى سمائِها خَفَقاتٌ

أسرعتْ فى فؤادِه خَفَقاته

---

(١) بساهدات النجوم : النجوم الساهرة .

(٢) بثه : حزنه .

سَبَحَتْ فى عـــــوالمِ النورِ « زَيْنٌ »

أين منهـــا الغـــريقُ فى ظُلُمَاته ؟[1]

كم يـمُدُّ الـيـــــــــدينِ أسْوانَ مُضْنًى

فَيـــفِرُّ الشُّعـــاعُ من قَبْضـــاتِهْ ![2]

ويـــــوقُ الأشـــعـــــارَ فى نَبَراتٍ

ظَنّهـــا ابنُ الهَديـلِ من نَبـــراته[3]

سَمِع الـدَّوْحُ نوحَهـــــا عـــــبْقَرِيًا

فـــتـــمنَّى لو نُحْنَ فى عَذَبَاتـه[4]

مُشْجِيـــاتٌ يودُّ كـلُّ ابنِ غـــصـن

أنّ أنغـــامَهـــا جـــرتْ من لهـــاته[5]

---

(١) زين : اسم الفقيدة حرم الشاعر عزيز أباظة .

(٢) أسوان : حزين . الشعاع : ضوء الشمس .

(٣) ابن الهديل : الحمام الصغير المغنى بصوت حسن .

(٤) نحن : يكين بصوت حزين . عذباته : ما تغنوه به النائحات .

(٥) مشجيات : مغنيات بصوت رخيم جميل . ابن غصن : نسبة إلى الطير . لهاته : اللهاة هى زائدة لحمية فى مؤخر سقف الحلق .

قلتَ شـعـرًا فلـم يكنْ غـيـرَ بحـرٍ
من دُمـوعٍ طـفـقـا بتـفـعـيـلاتِه
وبعـثـتَ الشُّجـونَ فـى كل صـدرٍ
وأثـرتَ الـمكْبُوتَ مـن زَفَراتـه[1]
فـاقـتـبـسـنا لوعـاتِ قلـبِكَ فـانظرْ
هل أفـاق المـسكينُ من لوْعـاته ؟
إنّ مَاءَ الـدمـوعِ أطْفَأُ لـلـوَجْـ
ـدِ ، وأشـفَى لـلصَّبِّ فـى خلَواته[2]
فـاسكُبِ الدمعَ وابعثِ الشـعـرَ واملأْ
أُذُنَ الـخـافـقَيْنِ مـن آياتِه[3]
كنـتَ قَيْسًا بكَى عـلى قـبـرِ لَيْلاَ
هُ ، ورَوَّى الضـريَح مـن عَبـراته[4]

---

(١) لوعات : حرقة .
(٢) للصب : للمحب المشتاق . خلواته : انفراده .
(٣) الخافقين : الليل والنهار . آياته : المقصود شعره .
(٤) قيسا : المراد قيس بن الملوح صاحب ليلى العامرية .

بيَ جُرْحٌ مـــضى عليـــه زمـــانٌ
جِرْتُ فى أمـــرِه وأمـــرِ أســـاتِه[1]
كلّمـــا صـــاحَ نادبٌ هـاج شكْوا
هُ ، ومَسَّ الاليـــمَ مـــن نَدَبـاتـه[2]
أنـا أبكى لـكـلِّ بـاكٍ ونفـــــــسى
حَسَرَاتٌ تـذوبُ فـى حَســـــــرَاتـه
بادِعُ الصـبـــرِ ، إن يكن عُسْرُ مـــثقا
لٍ بأغْلَى مـــا فى الحـــيـــاةِ فَهَاته !
كـــلـــنـــا مَسَّه مـــن الـدهـــر ظُفْرٌ
آهِ مـــن ظُفْرِه ومـــن فَتكـاتـــه !
وأدَتْنـــا بـــنـــاتُه بـــرَزَايـــا
هَا ، ومَنْ ذا يـــسطـيـع وَأدَ بَنَاتـه ؟[3]

---

(١) بى جرح : يشير إلى مصيبته بفقد ابنه البكر . أساته : أطباته .
(٢) نادب : باك يندب الموتى . هاج : أثار . ندباته : اثار الجروح جمع ندبة .
(٣) وأدتنا : دفنتنا أحياء . بنات الدهر : مصائبه . برزاياها : بمصائبها .

فكرهنا حتى النعيمَ لأنّا

قد رأينا اجتماعَه لشتاته[1]

لذّةُ المرءِ من جَنَى ألم الدَّهْـ

ـرِ وتأتي الآلامُ من لذّاته![2]

ما حَياةُ المُحبِّ بعدَ حبيبٍ

قَبَسَ النورُ والهوَى من حياته؟[3]

حَسْبُه أنه إذا رامَ قُربًا

لم يجدْ للوصولِ غيرَ مَمَاته[4]

عِشْ أبا واثقٍ لواثقِ البا

كي ، وللثاكلاتِ من أخَواته[5]

---

(١) لشتاته : لتفرقة .

(٢) جنى : حصاد .

(٣) قبس : شعلة .

(٤) رام : أراد .

(٥) واثق : هو محمد واثق أباظة نجل الشاعر عزيز أباظة . الثاكلات : اللاتى فقدن أمهن .

٢٤ - ذكرى قاسم أمين

مَلَّ مِنْ وَجْدِهِ وَمِنْ قَرْطِ مَا بِهْ
وَأَرَاقَ الشَّرَابَ مِنْ أَكْوَابِهْ !
وَإِذَا الْقَلْبُ أَظْمَأَتْهُ الأَمَانِيُّ ،
فَمَاذَا يُرِيدُهُ مِنْ شَرَابِهْ ؟
وَإِذَا النَّفْسُ لَمْ تَكُنْ مَنْبِتَ الأُنْـ
ـسِ ، تَنَاءَى . الْقَرِيبُ مِنْ أَسْبَابِهْ
وَأَشَدُّ الآلامِ أَنْ تُلْزِمَ الثَّغْرَ ابْـ
ـتِسَامًا ، وَالْقَلْبُ رَهْنُ اكْتِئَابِهْ

*

كُلَّمَا اخْتَالَ فِي الزَّمَانِ شَبَابٌ
عَصَفَتْ رِيحُهُ بِلَدْنِ شَبَابِهْ !
وَالنُّبُوغُ النُّبُوغُ يَمْضِي ، وَتَمْضِي
كُلُّ آمَالِ قَوْمِهِ فِي رِكَابِهْ

غَـــرِدٌ ، مَا يـكَادُ يَصْـــدَحُ حَتَّـــى

يُسْـــكِتَ الـدَّهْرُ صَـوْتَهُ بِنُعَـــابِهْ[1]

وَحَبَّـــابٌ ، إِذَا عَـلاَ الْـــمَاءَ وَلَّـــى

فَاسْـــأَلِ الْمَاءَ هَـــلْ دَرَى بِحَـــبَابِهْ ؟[2]

وَسَفِيـــــنٌ ، مَا شَارَفَ الـــشَّطَّ حَتَّى

مَـــــزَّقَ الْيَـــمُّ دُسْرَهُ بِعُـــبَابِهْ[3]

*

بَخِـلَ الـدَّهْـــرُ أَنْ يُطَـوِّلَ لِلْعَقْـــلِ ،

فَيَجْـــرِى إِلَى مَـــدَى آرَابِـــــهْ[4]

كـــلَّمَا سَـــارَ خُطْـوَةً وَقَـــفَ الْمَـــوْ

تُ ، فَـــسَدَّ الـطَّرِيـقَ عَـــنْ طُـــلاَّبِهْ

وَابْتِـــدَاءُ الْكَمَـــالِ فِـى عَمَـــلِ الْعَا

مِلِ بَـــدْءُ الـشَّكَـاةِ مِنْ أَوْصَـــابِهْ[5]

---

(١) النعاب : صوت الغراب .

(٢) حباب : حباب الماء بفتح الحاء نفاخاته التى تعلوه .

(٣) الدسر : خيوط تشد بها ألواح السفينة . واحدها دسار ككتاب . عبابه : أمواجه .

(٤) طول له : أمهله . مدى : غاية . آراب : جمع إرب وهو الحاجة والمطلب .

(٥) الشكاة : الشكوى . أوصاب : جمع وصب المرض .

ضِلَّةً نَكْتُمُ الْمَشِيبَ فَيَبْدُو
ضَاحِكًا سَاخِرًا خِلَالَ خِضَابِهْ[1]
أَيْنَ مَنْ يَسْتَطِيعُ أَنْ يُرْشِدَ الدُّنْيَا ،
وَسَوْطُ الْمَنُون فِى أَعْقَابِهْ[2]
أَيُّهَا الْمَوْتُ : أَمْهِلِ الْكَاتِبَ الْمِسْـ
ـكِينَ يُرْسِلْ أَنْفَاسَهُ فِى كِتَابِهْ
آهِ لَوْ يَشْتَرِى الزَّمَانُ قَرِيضِى
بِسِنِينٍ تُعَدُّ لِى فِى حِسَابِهْ
مَا حَيَاتِى ؟ وَالْكَوْنُ بَعْدَ جِهَادٍ
لَمْ أَزَلْ وَاقِفًا عَلَى أَبْوَابِهْ
تَظْمَأُ النَّفْسُ فِى حَيَاةٍ هِىَ الْقَـ
ـفْرُ ، فَتَرْضَى بِنَهْلَةٍ مِنْ سَرَابِهْ
أَنَا قَلْبِى مِنَ الشَّبَابِ وَجِسْمِى
أَنْحَنَى الشَّيْبُ رَأْسَهُ بِحِرَابِهْ

---

(١) الضلة : بكسر الضاد عدم الهدى . الخضاب : صبغ يوضع على الشعر لإخفاء الشيب .

(٢) أعقاب : جمع عقب وهى مؤخرة القدم .

أَمَلٌ هَـــذِهِ الْحَيَاةُ ، فَهَـلْ يَعْثُـــرُ بِي
الْمَـــوتُ دُونَ وَشْـــكِ طِـــلاَبِهْ ؟
كُلَّمَا رُمْـــتُ لَمْحَـــةً مِـــنْ سَنَاهُ
هَـالَنِي بُعْـــدُهُ وَطُـــولُ شِـــعَابِهْ[1]
مَا الَّـذِي تَبْتَغِـي يَدُ الـدَّهْرُ مِنِّـــي ؟
وَدَمِـــي لا يَزَالُ مِـــلءَ لُعَـــابِهْ[2]
دَعْ يَرَاعِـــي يا دَهْـــرُ يَمْلأُ سَمْـعَ النِّيلِ ،
مِـــنْ شَـــدْوِهِ وَعَـــزْفِ رَبَابِهْ
كُلُّ شَـــيْءٍ لَـــهُ نِصَابٌ سِـوَى الْفَـنِّ ،
فَـــلاَ حَـــدَّ يَنْتَهِـــي لِنِـــصَابِهْ[3]

*

(١) رمت : أردت . السنا : الضوء . هالني : أزعجني . شعابه : جمع شعب وهو الطريق في الجبل .
(٢) إشارة إلى وفاة نجل الشاعر البكر عام ١٩٣٥ م :
(٣) النصاب : المقدار المعين .

٢٥ - العيدُ المثوى

لوزارة المعارف المصرية (١٩٣٧ م)

أَخْرَجَ الرَّوضُ أَطْيَبَ الثِّمـــــارِ
هَاتِ مـــا شِئْتَ مِن قَرِيضِكَ هَاتِ
زَهَرَاتٌ تَتِيـــــــهُ بِالغُصْنِ زَهْوًا
وغُصُـــــونٌ تَتِيـــــهُ بالزَّهَرات
صَيَّرتْ صَفْحَةَ الرِّياضِ سَـــمَـــاءً
وتَجنَّتْ فِيـــهَـــا عَلَى النَّيِّرات[1]
لَم تُفَارِقْ كِمَامَهَـــا ، وشَـــذَاهَا
يَنْشُرُ الطِّيبَ فِى جَمِيعِ الْجِهَـــات[2]
تَرْهَبُ الرِّيحُ أن تَخَـــــدَّ لَهَا
خَدًّا فَتَجْرِى فِى خَشْيَـــــةٍ وَأَنَاةِ[3]

---

(١) تجنت : طفت وعلت . النيرات : الكواكب المنيرة المضيئة .

(٢) الكمام : جمع كم (بكسر الكاف فيهما) ، وهو وعاء الطلع وغطاء النور . الشذا : قوة ذكاء الرائحة وسطوعها .

(٣) ترهب : تهاب وتخشى . تخدّ : أى تجرح وتخدش .

مُصْغِـــيـــاتٌ إذا الْحَمـــائمُ رنَّتْ

بـيـن تـلكَ الْخَمـــــائلِ الـنَّضِرَات

ضـــاحِكـاتٌ إذا بكَى عـــابسُ الـغَيْـ

ـــثِ وفـــــاضـتْ عَيْناه بـالـعَبَرَات

وإذا مـــــــا جَرَى الـغَديـرُ تـدَانَتْ

لـتُحَيِّى الـــغَديـــرَ بـــالـــقُبُلات

إنَّ لـلرَّوْضِ فـى مَعـــانيـــــه حُسْنًا

فَوْقَ حُسْنِ الـمَلاَمِحِ الـفـــــــاتِنَات

كَمْ مِنَ الزَّهْرِ فـــيـــــه مِنْ سِحْرِ عَيْنِ

ومِن الثَّبْتِ فـــيـــــه مِنْ قَسَمَات ![1]

فـــانـظُرِ الـرَّوضَ لا تَرَى غَـيْرَ تِبْرٍ

مـــــــن تُرَابٍ ودُرَّةٍ مِن حَصَاة[2]

حَبَّـــةٌ أنْبَتَتْ سـنـابـلَ سَبْـعًا

ثُمَّ مِلءَ الـــفَضَاءِ مـــن سُنْبُلات[3]

---

(١) القسمات : جمع قسمة (بكسر السين وفتحها) : وهى الحسن .

(٢) التبر : الذهب قبل صوغه . الدر : اللآلئ ، الواحدة ، درة .

(٣) يشير إلى الآية الكريمة : ﴿ مثل الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل فى كل سنبلة مائة حبة ﴾ .

ونَـواةٌ جـــــــادتْ بـنَخْلٍ ونَخْـلِ
وَأَرِفِ الـــظِّلِّ دائـــمِ الـــثَّمَرَاتِ
يُرْسِلُ الطَّيْرُ فـى مَـداه نَشِيـــــــدًا
مَوْصِلـــــىَّ الأَدَاءِ والـــــنَّبَرات[1]
يَمْلِكُ النَّفْسَ أيـنَمـــــــــا نَظَرَتْه
فَهْوَ قَيْدُ الـــــنُّفُوس والـــــنَّظَرَات
كم تَهـــادَى مـع النَّسِيـم اختِيـــالاً
كـــــــالعَذَارَى يَمِسْنَ فـى الْحِبَرَات[2]
تَتَنـــاءَى بـــه الـــظِّلَالُ لِجَمْـــــع
ثـــــــــم تَدْنُو مُدِلَّةً لِشَتَات[3]

---

(١) الموصلى : نسبة إلى إبراهيم الموصلى أو ابنه إسحاق ، وكلاهما مغن عباسى بلغ شهرة واسعة فى الضرب والغناء . ولد إبراهيم سنة خمس وعشرين ومائة هجرية بالكوفة وتوفى ببغداد سنة ١٨٨ هـ . وولد إسحاق سنة ١٥٠ (وهى السنة التى ولد فيها الإمام الشافعى ومات فيها الإمام أبو حنيفة) وتوفى ببغداد فى أول خلافة المتوكل سنة ٢٣٥ هـ .

(٢) الحبرات (بالتحريك ، ويكسر الحاء مع فتح الباء) : جمع حبرة . وهى ضرب من برود اليمن ، وملاءة سوداء اختص بها نساء مصر .

(٣) تتناءى : تبعد . مدلة : من الدلال ، وهو التمتع . الشتات : الفرقة .

مِثْلَ كفِّ الرسَّامِ جـــــاءتْ وراحتْ

بَيْنَ قِرْطَاسِه وبَيْنَ الـــــــــدَّوَاةْ[1]

أو كـــــوَجْهِ الحَسْنَاءِ يَبْدُو ويَخـــــفَى

بين مَيْلِ الهَوَى وخـــــوْفِ الوُشَاةْ[2]

كـلَّمـــــــــا رُمْتَ منه قَطْفَ جَنَاةٍ

سَبَـــــقَتْ راحـــــتَيْكَ ألْفُ جَنَاةْ[3]

وإذا بـــــــارَكَ الإلَهُ بـــــــأرْضٍ

جَعَـــــلَ التِّبْرَ فـــى مكـــانِ النَّبَاتْ

وحَبَاهـــا خِصْبًا إذَا مَسَّ صَخْـــــــرًا

تَرَكَ الصـــــخـــــرَ جَنَّـــةَ الجَنَّاتْ

*

(١) القرطاس : الصحيفة يكتب عليها .

(٢) الوشاة : الساعون بالكذب والنميمة .

(٣) الجناة : ما يجنى من الشجر .

٢٦ - من شاعرٍ إلى شاعرٍ

حينما توافد أدباء الأقطار العربية لتكريم المرحوم أحمد شوقى بك فى سنة ١٩٢٧ م وتوليته إمارة الشعر حيًّا الشاعر صديقه بهذه القصيدة .

وَقَفْتَ تُجَدِّدُ آثَارَهَا
وتُنْشِرُ لِلْعُرْبِ أَشْعَارَهَا[١]
وَتَرْجِعُ بَغْدادَ بَعْدَ الفَنَاءِ
تُحَدِّثُ لِلنَّاسِ أَخْبَارَهَا[٢]
وَتَبْعَثُ حَسَّانَ مِنْ رَمْسِهِ
وتُحْيِي عُكَاظَ وسُمَّارَهَا[٣]

---

(١) آثارها ، أى آثار اللغة العربية ، تنشر : تبعث بعد الموت .

(٢) بغداد : عاصمة العراق وهى تقع على نهر دجلة أنشأها أبو جعفر المنصور وجعلها مقر ملكه . وكانت مهد الحضارة العربية وأزهى مدن العالم فى العصر العباسى لغة وعلما .

(٣) حسان : هو ابن ثابت الأنصارى الخزرجى الصحابى ، شاعر النبى - ﷺ - أدرك الجاهلية والإسلام ، وتوفى سنة ٤٠ هـ . الرمس : القبر . عكاظ (يؤنث ويذكر ، فالتأنيث لغة الحجاز والتذكير لغة تميم) : سوق للعرب بين نخلة والطائف كانت تقوم هلال ذى القعدة وتستمر عشرين يومًا ، وقيل شهراً ، تجتمع فيها قبائل العرب فيتناشدون ويتفاخرون . السمار : المتسامرون .

بشعرٍ له نَبَراتٌ تَهُزُّ
نِياطَ القُلوبِ وأوْتارَها[1]
أطاعَتْ قوافيه بَعْدَ الشِّماسِ
جَرِيءَ القريحةِ جبَّارَها[2]
ونَظْمٍ له نَفَحاتُ الرِّياضِ
إذَا نَقَّط الطَّلُّ أزهارَها[3]
فمِن حِكمةٍ عَلَّمَتْها السِّنُونَ
حِوارَ السُّفُوسِ وأسْرارَها
لها صَفْحَةُ الْكَوْنِ مَنْشورةٌ
يُتَرْجِم بالشَّعر أسْطارَها[4]

*

(١) نبراته : رنين إنشاده وجرس توقيعه . نياط القلب : عرق غليظ نيط به القلب ، أى علق ، إلى الوتين .

(٢) القوافى : جمع قافية بمعنى القصيدة . الشماس : التأبى والامتناع . قريحة الشاعر : ملكته التى يقتدر بها على نظم الشعر .

(٣) نفحات الرياض : ما يتنشر عنها ويفوح من رائحة عطرة . الظل : المطر الضعيف أو الندى .

(٤) منشورة : مبسوطة غير مطوية .

وتَشْبِيبِ بِلاءٍ لَعُوبِ الشَّبَـــــــــابِ

يُناجي السَّمـــــاءَ وأقْمـــارَهـا[1]

تـــــراه وَظِلُّ الـــــصِّبَا وارفٌ

جَمـــــــوحَ العَرِيكـةِ مَوَّارَهـا[2]

يُغَنِّي كـــــــــمَا صَدَحَت أيْكـةٌ

وقـــد نَبَّهَ الـصـــبحُ أطْيـــارها[3]

ويَبْكِي فَيُبْكِي رُســـــــومَ الـديـارِ

حَنَانًا عَلَيـــــــــــه ، وآثـارهـا[4]

ويَنْسَبُ حـــــــــتى يَلِـينَ الـهَوَى

وتَقْضِـــي الـصَّبَابَـــةُ أوْطـارهـــا[5]

---

(١) التشبيب : وصف الشاعر محاسن المرأة وتعديل مناحي الجمال فيها . لعوب الشباب: مرح به مدلّ . المناجاة : المسارة .

(٢) الوارف : الواسع الممتد . وجعله للصبا ظلا وارفا . كناية عن اكتمال قوته ، لأن الشجرة إذا تم نموها امتدت فروعها واتسع ظلها . جموح العريكة : أى له نفس قوية وطبيعة غالبة . الجموح : من صفات الخيل، وهو الذى يركب رأسه لا يثنيه شيء . الموّار : فعال من المور ، وهو مبالغة فى الثورة والاضطراب .

(٣) الصدح : رفع الصوت بالغناء . الأيكة : الحديقة ذات الأشجار الكثيرة الملتفة .

(٤) رسوم الديار : آثارها التى تبقى على الأرض دالة عليها .

(٥) النسيب : التشبيب بالمرأة فى الشعر وذكر محاسنها . الصبابة: حرارة الشوق والهوى. الأوطار : جمع وطر (بالتحريك) وهو الحاجة .

وتَنْسَى الكواعبُ آىَ الحِجَابِ
وتَبْكى العَجَائزُ أعمارَها[1]

*

وتَصْويرِ طَبِّ صَنَاع اليَدَيْن
حَبَتْه الطَّبيعةُ أسرارها[2]

كأنَّ (رُفائيل) فى كَفِّه
يُعيدُ الفُنونَ وأعْصارها[3]

يُريك إذا خَطَّ فى طِرْسِه
حَياةَ القُرون وأدْوَارها[4]

ويَرْسُم (أندُلُسًا) بالبَرَاع
فتلمسُ كفُّك أسْوارها[5]

---

(١) الكواعب : جمع كاعب ، وهى الجارية نهد ثديها .

(٢) الطب (بالفتح) : الماهر فى عمله . صناع اليدين : يحذق الصنعة بهما . حبته : منحته وخلعت عليه .

(٣) رفائيل : مصور إيطالى مبدع ولد فى ٦ إبريل سنة ١٤٨٣ م وتوفى فى ٦ إبريل ١٥٢٠ م . الأعصار : الأزمنة . الواحد ، عصر (بالفتح) .

(٤) الطرس : الصحيفة يكتب فيها .

(٥) البراع : القلم .

وإن وَصَفَ الحـــــــربَ خِلْتَ الْحِرابَ
تَسُدُّ مـــن الأرض أقـــطـــارهـــا
فـــتُمْسِكُ جَنْبك ذُعـــرًا تـخـــافُ
قَنـــاهـــا وتَرْهَبُ بـــتَّارهـــا
أشَوْقي وأنـت طَبـــيبُ النُّفـــوسِ
وَضَعْتَ عـن النـفـس آصـــــارَهـا[1]

*

نَصَرْتَ الـقَضـــــيـلةَ ، مِن بَعْـدِ أنْ
طَوَاهـا الـزمـــــــانُ ، وأنْصَارَهـا
وجِئْتَ لِمِصْرَ كـعـيـــسى المـســيح
تُفَتِّـــحُ لـلـنّور أبْصَـارَهـــا[2]
بِآيٍ تُفَصِّلُهـــــــا مُحْكَمَـاتٍ
كـــــــأنَّ مِنَ الـوَحْيِ أفْكـارَهـا

---

(١) الآصار : جمع إصر ، وهو ما تئن تحته النفس من أثقال وأعباء .

(٢) يشير إلى معجزة عيسى عليه السلام فى إبراء الأكمه .

تَرُدُّ الشَّبِيبَةَ لِلصَّالِحَاتِ

وتَرْجِعُ لِلدِّينِ هَتَّارَهَا[1]

جَزَيْتُ بِشِعْرِكَ شِعْرًا وهَل

تُجَازِى الخَمَائِلُ أمطَارَهَا[2]

فَكُنتَ شَرِيفَ قَوافِى البَيَانِ

وكُنتُ بِفَضْلِكَ مِهْيَارَهَا[3]

فَغَرِّدْ كَمَا شِئْتَ لافُضَّ فُوكَ

وعِشْ بَطَلَ الضَّادِ مِغْوَارَهَا

---

(١) يريد بالهتار : الذى غلبه الشيطان على عقله فمرق من الدين واستخف بتعاليمه .

(٢) الخمائل : المواضع الكثيرة الشجر ، الواحدة خميلة .

(٣) مهيار : هو الأديب الشاعر أبو الحسن مهيار بن مرزويه الفارسى الديلمى . المعروف بجودة الصياغة وقوة الشعر ، وقد كانت وفاته ليلة الأحد لخمس خلون من شهر جمادى الآخرة سنة ٤٢٨ هـ .

٢٧ - رثاء إسماعيل صبرى باشا

صـــــــادِحَ الشَّرْقِ قَدْ سكَتَّ طَوِيلاَ
وَعَزِيـــزٌ عَلَيْـــــــهِ ألا تَقُـــــــولاَ
أَيْنَ ذَاكَ الشـــــعْرُ الذى كُنْتَ تـزْجِيـــهِ
فَيَسْـرِى فـى الأَرْضِ عَرْضًا وَطُـــولا ؟[١]
قَـــدْ سَمِعْـــنَاهُ فِي الْمَزَاهِـــرِ لَحْـــنًا
وَسَمِعْنَاهُ فـي الْحَمَـــــــــامِ هَدِيلا[٢]
وَشَمِمْـــنَاهُ فِـــى الْكَمَـــــائِـمِ زَهْـــرًا
وَشَـــرِبْنَاهُ فِى الْكُئُوس شَمُـــــــولا[٣]
تَنْهَـــبُ الدُّرَّ مِـــنْ عُقُـــودِ الْغَـــوَانِى
ثُمَّ تَدْعُـــوهُ فـــــاعِلاتُنْ فَعُـــولاَ !

---

(١) تزجيه : تدفعه وتسوقه برفق . يسرى : يسير .
(٢) المزاهر : جمع مزهر وهو العود من آلآت الغناء والطرب . اللحن : التغريد والتطريب والغناء . الهديل : صوت الحمام .
(٣) الكمائم : جمع كمامة وهى غطاء النور أى الغلاف الذى يحيط بالزهرة ويغطيها قبل أن تتفتح . الكئوس : جمع كأس ، ولا تسمى كأسا إلا وفيها الشراب . الشمول: الخمر .

خَطَـرَاتٌ تَسِيـــــرُ سَـيْرَ الـدَّرَارِى
آبِيَاتٍ عَلَى الـزمـــــــانِ أُفُـولاَ[1]
تَخْـدَعُ الْجَامِـحَ الـشـمُوسَ مِنَ الْقَـوْ
لِ فَيُلْـقِى الْعِنـانَ سَهْـلاً ذَلُـــولاَ[2]
غَزَلٌ كَـــالـشـــبَابِ أَسْجَحُ رِيَّا
نُ يُذِيبُ الْقَاسِـــى وَيُدْنِـى الْمَـلُولاَ[3]
وَنَسِيـــبٌ يَكَـــادُ يَبْعَثُ فِيـــنَا
مِـنْ جَدِيـدٍ كُثَيِّـرًا وَجَمِيـــــلاَ[4]

---

(١) الخطرات : الخواطر . الدرارى : الكواكب .

(٢) الجامح : اسم فاعل من جمح الفرس أى اعتز فارسه وغلبه . الشموس : الصعب الممتنع . العنان : سير اللجام . ذلول : سهل منقاد .

(٣) أسجح : حسن معتدل . ريّان : صفة من الرى .

(٤) كثير بن عبد الرحمن أحد الشعراء الغزليين المشهورين ، شبب بعزة بنت حميد الضمرى حتى عُرف بها وكانت وفاته سنة ١٠٥ هـ .

وجميل بن عبد الله بن معمر العذرى أحب ابنة عمه بثينة وعُرف بها وقال فيها شعراً كثيراً يدل على شعور صادق وحب عفيف طاهر ، ولبث يشبب بها أكثر من عشرين سنة ، وكانت وفاته بمصر سنة ٨٢ هـ أيام عبد العزيز بن مروان وإليها من قبل أخيه عبد الملك .

وَقَـوافٍ سَأَلْـتُ مِـنَ الـلُّطْفِ حَتَّـى
لَحَسِـبْنَا الْمُجْتَـثَّ مِنْهَا طَوِيـلاَ[1]

نَقَـدَتْ جَيِّـدَ الْكَـلامِ وَخَلَّـت
سَقَـطًا مِـنْ وَرَائِهَـا وَفُضُـولاَ[2]

عَبَثَـتْ «بِـالْوَلِيـدِ» ثُمَّ أَرَتْـهُ
مِنْهُ أَنْقَى مَعْنًـى وَأَقْوَمَ قِيـلاَ[3]

لَـوْ وَعَاهَا مَا اهْـتَزَّ يُنْشِـدُ يَوْمًا
(ذَاكَ وَادِي الأَرَاكِ فَاحْبِسْ قَلِيـلاَ)[4]

---

(١) المجتث : من بحور الشعر ، وأجزاؤه مستفعلن فاعلاتن فاعلاتن مرتين مجزوء وجوبا . الطويل : أول بحور الشعر ، وأجزاؤه فعولن مفاعيلن أربع مرات .

(٢) نقد الدراهم : إخراج الزيف منها ، والمراد اختارت . السقط بفتحتين : ردىء المتاع والخطأ من القول والفعل . فضول الكلام : ما لا خير فيه .

(٣) الوليد : هو أبو عبادة بن عبيد الطائى البحترى الشاعر المطبوع ، وبحتر بطن من طىء كانوا يتزلون بناحية «منبج» بين حلب والفرات ، ولد سنة ٢٠٦ هـ وتخرج فى الشعر على أبى تمام ثم خرج إلى العراق وأقام فى خدمة المتوكل والفتح بن خاقان وزيره إلى أن قتلا فرجع إلى «منبج» وبقى يختلف أحيانًا إلى رؤساء بغداد وسر من رأى حتى مات سنة ٢٨٤ هـ .

(٤) وعاها : حفظها وتدبرها أى القوافى والمراد الأبيات . و «ذاك وادى الأراك فاحبس قليلا » مطلع قصيدة للبحترى .

(قِفْ مَشُوقًا أَوْ مُسْعِدًا أَوْ حَزِينًا
أَوْ مُعِينًا أَوْ عَاذِرًا أَوْ عَذُولا)

بَرَزَتْ نَفْسُهُ بِهَا فَرَأَيْنَا
هُ نَبِيلاً يَنُثُّ قَوْلاً نَبِيلاً[1]

هَبَطَتْ حِكْمَةُ الْبَيَانِ عَلَيْهِ
فَاذْكُرُوا فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلاً[2]

*

(١) برزت : ظهرت . النبل والنبالة : الذكاء والنجابة والفضل . نث الحديث : أفشاه .

(٢) «فاذكروا فى الكتاب إسماعيل» اقتباس جميل من قول الله تعالى فى سورة مريم ﴿واذكر فى الكتاب إسماعيل إنه كان صادق الوعد وكان رسولا نبيًا﴾ .

٢٨ - رثاءُ سَعْد زغلول

لاَ الـدَّمعُ غـــــاضَ ، وَلا فُؤادُكَ سَالـى

دَخَلَ الْحِمَامُ عَرِينـةَ الـرِّئْبـــــــالِ[١]

وَأَصـــــابَ فى الـمَيْدانِ فـــــارسَ أُمَّةٍ

رَفَع الـــــكِنَانـــــةَ بَعْدَ طُولِ نِضَالِ[٢]

رَشَقَتْه أحْـــداثُ الْخُطُوبِ فـــــأقْصَـدَتْ

حَرْبُ الْخُطُوبِ الدُّهْمِ غـــيـــرُ سِجَالِ[٣]

لِلْمَـــوْتِ أَسْلِحَـــةٌ يَطِيـحُ أَمَامَهـــــا

حَوْلُ الْجـــــرِيءِ ، وَحِيلَةُ الـمُحْتَالِ[٤]

مـــــــا كَانَ سَعْـــدٌ آيـة فـى جِيـلِه

سَعْـــدُ الـــمُخَـــلَّدُ آيـــةُ الأَجْـــيَالِ[٥]

---

(١) غاض : جف وذهب . الحمام : الموت . عرينة الرئبال : مأوى الأسد .

(٢) الكنانة : مصر . الكنانة : جعبة السهام .

(٣) رشقته : رمته . أحداث الخطوب : ما ينزل من المكاره ويصيب . أقصدت : لم تخطئ المقتل . الدهم : السود . الحرب السجال : التى تكون ، مرة لهؤلاء ومرة لهؤلاء .

(٤) يطيح : لا يثبت لها ولا يقوى عليها . الحول : القوة .

(٥) الآية : المعجزة .

تَفْنَى أحـــــاديـثُ الرِّجـــــالِ وَذِكْـرُهُ
سَيَـظَلُّ فـى الدُّنْيـــــــا حَدِيـثَ رِجَالِ
سَارٍ كـــــــــــــمِصْبَاحِ الـسَّمَاءِ يَحُثُّه
كـــرُّ الـضُّحَى وتَعـــاقُبُ الآصـــال[1]

*

(١) سار : متوثب غير خامد ولا ساكن. مصباح السماء : الشمس . يحثه : يغريه ويستنهضه . كر الضحى : مروره . الآصال : جمع أصيل ، وهو ما بعد العصر إلى المغرب .

٢٩ - يَوْمُ السلام

نشرت هذه القصيدة فى صباح إعلان انتهاء الحرب العالمية الثانية فى أوائل مايو سنة ١٩٤٥ م .

داعِبِ الشـــرقَ باسـمًا وسـعـيـــدًا
وائتلِقْ يا صـبـــاحُ للناسِ عِيـــدا[١]
نَسِيَتْ لحنَهـــا الطيـــورُ فـصـــوِّرْ
لـبنـاتِ الـغُصُونِ لحنًا جـــديـدا[٢]
فـــزَّعـتْهـــا عن الرياضِ خَفَـافـيـ
ـشٌ تَسُدُّ الـفـضـــاءَ غُبْرًا وسُودا[٣]
ألِفَتْ مُوحِشَ الـظـلامِ فـــــودَّتْ
أن تبـيـــدَ الـدنيـــا وألاَّ يَبـيـــدا
فـاسـجَعِى يا حـمـامـةَ السلْمِ لـلكو
ن ، وهُزِّى أعـطـافَه تـغـــــريـدا[٤]

---

(١) ائتلق : أشرق .

(٢) بنات الغصون : فروع الشجر اللينة الصغيرة . أو الطيور .

(٣) فزعتها : أخافتها . خفافيش : طيور ليلية والمراد بها الطائرات المغيرة ليلاً .

(٤) اسجعى يا حمامة : رددى صوتك بالغناء من أجل السلام . أعطافه : جوانبه .

غـرِّدى فـــالدمـــوعُ طاح بهـــا البِشْـ

ـرُ ، وأضـحى نَوْحُ الثكالَى نشيـدا[1]

واســمَعى ! إنّ فى الســماء لحُونا

أسـمـعتِ التـرتيل والتـرديدا ؟[2]

كلّمـــا اهـتـــزَّ للـمـــلائكِ صَوتٌ

رجّعْتـــه أنفـــاسُنا تـحـمـيـــدا[3]

رنّةُ النصـــر فى الســـماواتِ والأر

ضِ ، أعـادتْ إلـى الوجـودِ الـوجـودا

مَوْلِدٌ للـزمـــان ثانٍ شـــهـــدْنا

ه ، فـيـامَنْ رأى الزمـــانَ وليـدا !

*

قُتِلَ الـعـلمُ ، كـــــيف دبّر لـلـفَتْـ

ـكِ عَتـــادًا ، وللـدّمـــارِ جنودا !

---

(١) طاح بها : ذهب بها ، نوح : البكاء . الثكالى : النساء اللاتى فقدن أبناءهن .

(٢) لحونا : أناشيد .

(٣) رجّعته : أعادته . تحميدا : شكر وثناء .

فـهـو كـالخـمـر تَنْشُرُ الشـرَّ والإثـ

ـمَ وإنْ كـان أصلُهـا عُنـقـودا !

أبـدعَ الـمـهـلـكـاتِ ثـم تـوارَى

خلـفَهـا يمـلأُ الورَى تهـديدا

مـادتِ الراسـيـاتُ ذُعْرًا وخَفَّتْ

مِنْ أفـانينِ كَيْدِهِ أنْ تـمـيـدا

وقـلوبُ الـنجـوم ترجُفُ أن يـجـ

ـتـازَ يومًا إلـى مَداهـا الْحُدودا

مُحْدَثاتٌ عـزَّتْ عـلى عـقـلِ إبلـيـ

ـسَ فـعَضَّ البـنانَ قَدْمًا بـلـيـدا

عـالِمٌ فـى مـكـانه يـنـيفُ الأر

ضَ ، وثـانٍ يحُزُّ مـنـهـا الـوَريـدا

حَسْرَتَا لـلحـيـاةِ ! مـاذا دهـاها ؟

أصـبح الناسُ قـاتلاً وشـهـيـدا

*

أصـحـيحٌ عـاد الـسـلامُ إلى الـكو

ن ، وأضـحى ظِلاً بـه مـمـدودا ؟

الفهرس

تصـــدير ٧

المقدمة بقلم عبـاس محمود العقاد ١٥

المختارات

(١) فلـسطـين ٢٥

(٢) الحب والحرب ٣٨

(٣) مـصـر ٤٤

(٤) اللغـة العـربيـة ٤٦

(٥) العـروبة ٤٨

(٦) قبعة بعـد عمامة ٦١

(٧) السودان ٦٢

(٨) الاسكنـدرية ٦٤

(٩) رثاء شـوقى ٦٨

(١٠) مصـيف رشـيد ٧٢

(١١) حـنيـن طائـر ٨٢

(١٢) خـلـــود ٩٠

(١٣) إلى الأستـاذ الإمام ١٠٨

(١٤) الشيخ الغزل ١١٣
(١٥) ليلة وليلى ١١٤
(١٦) عبد العزيز جاويش ١١٨
(١٧) ثقيل ١٢٤
(١٨) هجاء ١٢٥
(١٩) إلى أنطون الجميل ١٢٦
(٢٠) جورجى زيدان ١٢٧
(٢١) ضن الشعر بالمديح ١٢٩
(٢٢) غزل شاعرين ١٣٢
(٢٣) صدى أنات حائرة ١٣٩
(٢٤) ذكرى قاسم أمين ١٤٤
(٢٥) العيد المثوى لوزارة المعارف ١٤٨
(٢٦) من شاعر إلى شاعر ١٥٢
(٢٧) رثاء إسماعيل صبري باشا ١٥٨
(٢٨) رثاء سعد زغلول ١٦٢
(٢٩) يوم السلام ١٦٤

رقم الأيداع ٢٠٠١ / ١٤٨٧٣
I.S.B.N 977 - 01 - 7521 - 8

لقد أدركنا منذ البداية أن تكوين ثقافة المجتمع تبدأ بتأصيل عادة القراءة، وحب المعرفة، وأن المعرفة وسيلتها الأساسية هى الكتاب، وأن الحق في القراءة يماثل تماما الحق فى التعليم والحق فى الصحة.. بل الحق فى الحياة نفسها.

سوزان مبارك

Bibliotheca Alexandrina
0962741

الثمن ١٥٠ قرشاً